روايات مصرية للجيب

مغامرات س

3

الخطّ الأحمر

Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة أو فصل أول !

جيد جدًا مع مرتبة الشرف ..

راجعت تقديرى المعلق على كشف النتائج جيدًا ، ربما لأتأكد من أننى أنا (نسرين الجبالى) ولا أحد غيرى هى من حصل على هذا التقدير ، دون أن تكون هناك شبهة خطأ فى الرصد أو تشابه سخيف فى الأسماء ..

وهكذا ابتسمت أخيرًا بعد أسابيع القلق الممتدة من نهاية الامتحانات حتى اليوم ، فبهذا اليوم تحديدًا تنغلق صفحة حياتى الجامعية ، وتبدأ صفحات أخرى أعرف عنها القليل وأجهل عنها الكثير ، من العمل إلى الزواج إلى .. إلى ..

- مبارك يا صغيرتى ..

أتتنى التهنئة عبر أثير الهواتف المحمولة ، مفعمة بحنان أبى وسعادته اللانهائية ، الممتزجة بعبق المطهرات والمشارط والأزياء الخضراء المعقمة ، بحكم عمله جراحًا - شهيرًا - للمخ والأعصاب فى مستشفاه الخاص ، لو كان أحدٌ يعرف ، أو مايزال يذكر ..

- أتمنى أن أكون قد رفعت رأسك يادكتور (فاروق الجبالى) !

قلتها مداعبة ، فأتاني صوته محملاً بحنان أكثر ، وبسعادة متمادية فى لا نهائيتها :

ـ سوف يكلفنى هذا ثمن جائزة قيمة تستحقينها عن جدارة ..

قلت فى صدق :

ـ جائزتى الحقيقية أن تتناول معى العشاء فى المنزل اليوم ..

قال فى صدق :

ـ حبًا وكرامة !

برغم علمى بأنه قد لا يفى بوعده ، على الرغم منه بالطبع !

ما زلتُ برغم تجاوزى سن الرشد بقليل متعلقة به إلى حد الجنون ، ومن تابعونى فى (إخوة الدم) وما قبلها يعرفون قطعًا السبب ، الذى لا يمكن إجماله فى عبارة واحدة من كلمتين :

وفاة أمى ..

يمكننى أن أسرد عليكم قصتى مع (إخوة الدم) مرة أخرى ، لكنى ـ وإن كنت مولعة بالثرثرة ـ لا أهوى التكرار الممل !

ـ أخيرًا انتهت دراستك يا حبيبتى ..

هذا صوت خطيبى الرائد (هشام القاضى) من المباحث الجنائية ، الطفل الكبير الذى أستعد للزواج منه بعد فترة ـ طالت قليلاً ـ من الخطوبة ..

كنت أنا الذى هاتفته ؛ لذا فقد قلت فى عتاب :

ـ لست قلقًا على ، والدليل أنك لم تتصل بى !!

قال (هشام) فى استغراب :

ـ اتفقنا على أن تتصلى أنتِ بى ..

أعلم ولكن :

ـ هذا ليس مبررًا ..

ـ أنتِ غريبة الأطوار ..

أعلم ولكن :

ـ لا تغير الموضوع من فضلك !

من جديد تحملنى (هشام) ، وهو ليس السبب الوحيد لحبى له بالمناسبة :

ـ المهم أنك قد نجحت ، وهو أمر يستحق الاحتفال ..

قلتُ مغالبة ابتسامتى :

ـ ستدعونى إلى الغداء إذن !

سألنى طفلى الكبير مستغربًا :

ـ كيف عرفتِ ؟!

هززت كتفى بحركة لا إرادية ، وقلت :

ـ لا شىء يفوق الخبرة ..

ـ انتظرينى إذن بعد نصف ساعة ، سأمر عليك عند باب الجامعة ثم ننطلق إلى أفخم الفنادق المطلة على (النيل) .. سيكون غداء اليوم مميزًا جدًا ..

ـ وسيطير راتب الشهر كسرب حمام مهاجر ..

ـ لا يهم ، إن الطيور المهاجرة تعود دائمًا ..

أغلقت الهاتف شاعرة بنشوة فريدة تسرى فى أعصابى ، وبخدر لذيذ يدغدغ قشرة مخى .. هاهى ذى دائرة الحياة تمضى بى فى طريقها الأبدى ، وهأنذا أستعد لمرحلة جديدة من أيام عمرى ، أعبر بوابة أخرى من أرض إلى أرض ، ومن زمان إلى آخر ..

سأنتظر (هشام) فى كافيتريا الكلية ، فهناك يمكننى أن أجد صديقاتى وزملائى ، ويمكننى إزجاء الوقت فى نقاشات عقيمة وتهاتى متبادلة حتى يحين الرحيل ..

فى الطريق باغتنى هاتف آخر عبر الأثير اللاسلكى المميز للقرن الحادى والعشرين ، فقطعت رنين أغنية (عبد الحليم) الشهيرة بضغطى زر السماعة الخضراء ..

ـ ابنتى الصحفية النجيبة حققت نجاحًا مشرفًا كما أرى ..

صحت فى سعادة عندما تعرفت صوت المتحدثة :

ـ السيدة (ألفت) شخصيًا ؟!

السيدة (ألفت همام) ـ لمن لا يعرف أو لا يذكر ـ هى مثلى الأعلى فى بلاط صاحبة الجلالة ، وهى رئيسة تحرير جريدة (الأربعاء) الأسبوعية ، أشهر الجرائد المستقلة فى البلاد إذ تنفد نسخها من فوق أرصفة الباعة ومن أماكن عرضها ـ على الحاملات المعدنية ـ فى المكتبات بمجرد هبوطها من عربات التوزيع ، وهى الجريدة التى أنشر فيها تحقيقاتى الصحفية بشكل غير دورى !

ـ نعم يا فتاتى ، هى أنا .. ما هذه النتائج الدراسية العظيمة ؟!

ـ أشكرك يا سيدتى ولكن ..

وجدت نفسى أسألها وقد هزمتنى المفاجأة :

ـ .. كيف بلغك الخبر بهذه السرعة ؟!

أتانى صوتها باسمًا (لا أعرف كيف يمكن أن يحدث هذا حقًا لكنه حدث !) :

ـ عيب عليكِ أن تسألى صحفية مخضرمة مثلى سؤالا كهذا ..

اعتذرتُ برغم إحساسى بمداعبتها :

ـ عذرًا يا سيدتى ولكن ..

قاطعتنى :

ـ لا عليكِ ، المهم أننى أريد أن أراك فى أقرب وقت ممكن ..

سألت وقد انعقد حاجباى لا إراديًا :

ـ لماذا يا سيدتى ؟!

لم أنتبه إلى فظاظة السؤال إلا عندما أتانى صوتها يتحدث فى بساطة :

ـ سأمنحك مكافأة تستحقينها !

انعقد لسانى ، وغمرتنى أمطار السعادة دون أن تبلل ملابسى ..

قلتُ فى تهذيب :

ـ لا داعى لهذا ، إن ..

غير أنها قاطعتنى مرة أخرى :

ـ سأنتظرك ، حاولى ألا تتأخرى فى المجىء ..

ليس أجمل من شعورك الداخلى بإنجاز عمل ما ، إلا الاهتمام الذى يمنحك إياه المحيطون بعد أن تنجزه بنجاح ، إنه شعور يساوى الدنيا وما فيها ..

ـ سأفعل بإذن الله يا سيدتى ، والشكر الجزيل لك فى كل الأحوال ..

هنأتنى مرة أخرى وتركتنى نهبًا لإحساسى الجميل !

كافيتيريا الكلية تدنو منى كما أدنو منها فى تؤدة ، إنها المرة الأخيرة التى أدخلها فيها كطالبة بين هتافات التهنئات وصراخات الرسوب ، ودموع الأمل فى الأفضل ..

دائرة الحياة تُحتّم أن أخرج أنا من هنا ، لتحل محلى فتاة أخرى ربما لا تقل عنى جنونًا أو تهورًا ، وربما تغلف حياتها الأسرار الغامضة مثلى تمامًا .. من يدرى ؟!

إنه اللقاء الأخير ..

لقاء الوداع ..

كن جالسات هناك عند المائدة المعتادة ، وإذ اقتربتُ منهن صاحت بى (رحاب) :

ـ ناجحة أخرى أيتها الآنسات ..

رفعن نحوى الأنظار ، فتبسمت ساحبة مقعداً من البلاستيك الأبيض سرعان ما احتوانى بين مسنديه غير المريحين ..

قالت (مروة) ـ المحجبة الهادئة الرزينة والأولى على دفعتى :

ـ تهنئاتى يا (نسرين) ..

تبسمتُ وهنأتها بطريقة غير تقليدية :

ـ ماذا يمكن أن أقول أنا إذن ؟!

هتفت (رحاب) متبرمة :

ـ لم يهنئنى أحد برغم نجاحى بتقدير (مقبول) ..

ومطت (شيماء رويتر) شفتيها مغمغمة :

ـ أما أنا فسأعيد العام الدراسى كله ، ولا عزاء لحظى العاثر !

(رحاب) صديقتى فتاة عادية لا طموح لها ، بسيطة الأفكار والتصرفات والآمال ، لهذا لم تسع لإحراز قصب سبق من أى نوع .. أما (رويتر) المتخصصة فى نقل الأخبار المحلية ، فيبدو أن ذلك قد شغلها عن الاستذكار والتحصيل ؛ لتفاجأ بأن عليها قضاء عام آخر فى المدرجات والسكاشن ، مشنفة آذان الطلبة والطالبات والمعيدين والأساتذة بالأخبار الفورية الطازجة ..

ـ أعتقد أن مجموعك يؤهلك للالتحاق بسلك التدريس الجامعى يا (نسرين) ..

قالتها (مروة) ، ولم تباغتنى الفكرة ..

أن أعمل معيدة ثم مدرسة مساعدة ثم مدرسة ثم أ . د . (نسرين الجبالى) ، فرصة رائعة لمكانة اجتماعية وعلمية ممتازة ، ولكن :

ـ ليس هذا طموحى على الإطلاق !

ـ ماذا ؟!

صاحت بها (شيماء رويتر) كأننى ألقيت فى وجهها بقنبلة نووية، وعدت أقول متقمصة شخصية كونتيسة من العصور الغابرة:

- أفضّل العمل الصحفى الحر على قيود الوظيفة والروتين ..

مطت (رحاب) شفتيها قائلة فيما يشبه الامتعاض:

- يحق لكِ قول هذا، بعد أن تم تعيينك رسميًا فى صحيفة بقامة (الأربعاء)!

هتفت (شيماء) كأنها ستلتهمنى حية:

- وما المانع فى الجمع بين الحسنيين ؟!

هززت كتفىّ وقلت فى هدوء مريع:

- كذب صاحب البالين ..

سألتنى (مروة) بهدوء أكثر ترويعًا:

- أنتِ تريدين التفرغ للصحافة تمامًا إذن ؟!

قلت:

- أشعر بأن هذا مجالى ..

ند الهتاف من خلف كتفى هذه المرة:

- هذا حقيقى، فالسيد (س) لن يقبل بالظهور فى صحيفة من نوع (صوت الجامعة)! التفتُّ إليه، كان (تامر فوزى) - راجع (الأعرج) و(دائرة الموت) و(إخوة الدم) و(اللعنة) وستعرف عنه الكثير(*) - يقترب منا عاقدًا ساعديه أمام صدره، وقد برزت عضلات صدره وذراعيه المفتولة من نوافذ القميص الاسبانى الضيق الذى يرتديه ..

توقف خلف مقعدى فكاد عنقى يتحطم وأنا أنظر إليه سائلة:

- (تامر)؟! ما أخبار النتيجة الخاصة بك ؟!

ألحقت (رحاب) سؤالى بقولها:

- عبرت بنجاح هذا العام أم كانت النتيجة مثل كل عام ؟!

أجابنى وأجابها وهو يجلس إلى المقعد الشاغر الوحيد بجوارى:

- نجحت بكل أسف!

صرخت (شيماء رويتر) مصدومة:

- بكل أسف ؟!

(*) هل مازلت فى حاجة لهامش أذكر فيه أسماء هذه المغامرات ؟! لا أظن .. فقط يجب التنويه عن أنها نشرت فى إطار سلسلة (سلة الروايات) لو كان هذا ضروريًا!

قال (تامر) فى عدم اكتراث لا أتصوره بدونه :

ـ سأفتقد هذا الوجه الموحى ..

قالت (مروة) :

ـ أعتقد أنه يمكنك الآن التفرغ لهوايتك المحببة، التمثيل أعنى!

هز كتفيه، وأخرج علبة سجائر لم أر مثلها فى حياتى من قبل قائلاً :

ـ ربما، كل شىء جائز ..

ثم إنه أخرج منها سيجارة طويلة ذات مظهر أنيق، وهو ينظر إلىّ ليتابع :

ـ .. إن التخرج من الجامعة فرصة هائلة ليمارس الإنسان ما يجده مجاله .. أليس كذلك يا صحفية السيد (س) ؟!

قلتُ :

ـ بلى ..

وضايقنى اللقب الذى استخدمه مخاطبًا إياى، ضايقنى إلى درجة لم أتصورها من قبل، فوجدت نفسى أردف :

ـ .. لكنى لست مجرد صحفية السيد (س) !!

أشعل سيجارته بقداحة ذات ماركة شهيرة، ونفث الدخان قائلاً :

ـ لم أتجاوز الحقيقة على الإطلاق .. إنك لم تنشرى حتى الآن تحقيقًا واحدًا لا يتحدث عنه ..

صعقتنى الحقيقة بدون استئذان .. إن (تامر فوزى) محق بكل أسف ..

قالت (مروة) فى محاولة للتهوين من صدمتى فى نفسى :

ـ أعتقد أن (نسرين) تملك طاقات كامنة لم تبرز بعد ..

قالت (شيماء) لتؤجج النيران المستعرة فى قلب (نسرين الجبالى) :

ـ لكن السيد (س) لا يترك لهذه الطاقات فرصة للظهور .. إنه يصر على مطاردتها فى دأب كأنه يريد لنفسه الشهرة من خلالها !

رباه، الشهرة لنفسه من خلالى ؟!

هل بلغ التفكير بقارئ تحقيقاتى هذا الحد ؟!

إننى نائمة فى العسل حقًا ..

قالت (رحاب) وقد أدركت ببساطتها أن جمودى يخفى خلفه كارثة نفسية :

ـ ليس الأمر بهذا السوء .. إن (نسرين) قادرة على الاستقلال بنفسها والنجاح بمفردها دون مساعدة السيد (س) !

لكن محاولتها لتهوين الأمر أتت عكسية على الرغم منها ، فقد صعقتنى من جديد فكرة أننى صحفية ناجحة لمجرد أن السيد (س) يساعدنى على هذا النجاح ..

أى أننى دونه صفر على اليسار ..

إمعة !

رن هاتفى المحمول الرنة المميزة الخاصة بوصول رسالة قصيرة ، فأستأذنت ناهضة :

ـ بالإذن ، أراكم لاحقًا ..

وخففت السير مبتعدة ، شاعرة بأن نظراتهم المشفقة تخترق ظهرى كخطوط نارية حمراء كاوية ..

وأنا أعبر الكافيتيريا ضغطت زر الهاتف المحمول لتتبدى حروف الرسالة القصيرة على شاشته الزيتونية المضيئة :

نجاح جميل ..
السيد (س) ..

هو أيضًا يهنئنى بالنجاح الذى يراه جميلاً ، والذى بلغته أنباؤه ـ لا أعرف كيف !

لكنى هذه المرة بالذات لم أشعر بالسعادة أو النشوة ، وإنما بالتحدى يفور فى عروقى مع كرات الدم البيضاء والحمراء ..

لابد أن أثبت للعالمين قدرتى على النجاح بدونك أيها السيد (س) ..

لابد ..

ودون أن أشعر وجدت نفسى أمحو الرسالة الواردة إلىّ منه ..

لكن هذا أيضًا لم يُشعرنى بأى قدر من الارتياح !

* * *

ربما كان هذا هو الفصل الثانى !

فى الفنادق ذات النجوم الخمس يبدو كل شىء مفتعلا ، أو لعل هذا هو إحساس من تنتمى إلى طبقة متوسطة مثلى ، تؤمن بأن خلف كل سطح براق عفن خبز وديدان ..

نظرة متجنية ؟!

ربما ، لكنها نظرتى وأنا بها فخور ..

كان (هشام) يرتدى ملابس صيفية عادية ، قميص أبيض وبنطال أسود ، وقد حلق شعر رأسه حديثًا ـ منذ أيام قليلة ـ وشذب أطراف شاربه بعناية فبدا وسيمًا ، وكنت أرتدى أنا ملابسى العادية أيضًا ؛ بلوزة وبنطال واسعان مع شعرى القصير الذى يأبى أن يطول حتى لا يتقصف ، ونظارتى الطبية التى تأبى أن تتركنى أستعين بالعدسات اللاصقة ، حيث تتداخل عندها الأشياء ، أمام عينىّ العسليتين ..

أنا و(هشام) من جديد أمام أطباق الطعام ، فى مطعم فندق من ذوى النجوم الخمس ، يطل على صفحة النهر الخالد ، والموسيقى الحالمة تنثر فى الأجواء عطرًا من رومانسية شفافة .. لاك (هشام) قطعة اللحم وهو يقول :

ـ كل شىء على ما يرام حتى الآن ، لم يبق إلا تركيب (السيراميك) ودهان الحوائط وتكون الشقة بعدها جاهزة لاستقبال الأثاث ..

يتحدث عن شقتنا ، فنحن سنتزوج بعد ثلاثة شهور تقريبًا ..

لذت بالصمت التام ، بينما ألوك قطعة اللحم بدورى ، متسائلة بينى وبين نفسى عن سر انسحاب الرومانسية تدريجيًا مع اقتراب الزواج ، دون أن أدرى لهذا سببًا ..

وما الذى يدرينى أننى لست واهمة أصلا ، وأن كل شىء ما زال على أفضل ما يرام ؟!

عاد (هشام) يضع فى فمه قطعة من اللحم ويتحدث :

ـ .. يمكنك تحديد الموعد المناسب للسفر إلى (دمياط) !

توقفت عن التهام الطعام ، ونظرت إليه سائلة :

ـ ولماذا (دمياط) ؟!

ـ من أجل انتقاء الأثاث المناسب !

هززت رأسى وعدت ألوذ بالصمت وقطعة اللحم الماثلة

أمامى فى الطبق كجثة مستديرة .. أعلم أنه متعجل على إنهاء كل شىء بسرعة ، وبقدر ما يسعدنى هذا ـ كأى فتاة فى مكانى ـ بقدر ما أتمنى أن يعاملنى كالسابق ، معاملة العاشق للمعشوق ، لا معاملة من يهمان ببدء مشروع جديد ، حتى وإن كان مشروع حياة ..

خواطر أكبتها عن الجميع ، لكنى لا أنكر أبدًا وجودها حية فى أعماق أعماقى ..

رُفع الطعام وحان وقت الكريم كراميل والنسكافيه ، ونظرات (هشام) المتجمدة فوق ملامحى ..

ـ أحبك يا (نسرين) ..

كدت أختنق بما أشربه ، وكاد النسكافيه يغرق كل شىء بدءًا بملابسى وانتهاء بوجه (هشام) الجالس أمامى ، لكنى نجحت فى البلع بصعوبة قبل أن أقول فى دهشة عارمة :

ـ ماذا ؟!

هز كتفيه وقال باسمًا :

ـ لم أقلها منذ زمن ، وشعرت بأنى أريد قولها الآن !

ابتسمت وأشرقت فى وجهى ألف شمس ذهبية .. ما زال

(هشام) يتمتع بالقدرة على قراءة أفكارى فى الوقت المناسب ، وما زال قادرًا على احتوائى واحتواء مشاعرى ، لهذا سأعشقه حتى أتجاوز من العمر مائة عام ، بعدها أفكر !

ـ جميل أن أسمعها منك بعد كل هذه المدة ..

قلتها وأنا أسند ذقنى على ظهر كفىّ المتعانقين ، فظل يحدق فى ملامحى وهو يغمغم :

ـ ستسمعينها منى إلى الأبد ..

لم أسأله : حتى متى ؟ حتى لا يجيبنى بأسطوانة (حتى تحترق النجوم) إياها ، يكفينى هذا منه الآن فى شدة حاجتى لكلمة حلوة ، تنسينى هموم التحضير للزواج ، وهم الفكرة اللعينة الملحة بأن السيد (س) ـ وحده ولا شىء سواه ـ هو سر نجاحى كصحفية ..

سأجتر هذه الفكرة السوداء وحدى فيما بعد ، وأنا ألعن اليوم الذى سمعت فيه صوته الأجش لأول مرة ـ فى قصة طالب الطب القتيل إياه ، ماذا كان اسمه ؟! لا أذكر ـ وأقرر فى تحد أن أعتمد على نفسى من وقتها فصاعدًا .. أما الآن فما على إلا أن أنعم بالوقت الذى أقضيه مع (هشام) ، هذا الوقت الذى أصبح جميلاً ساحرًا فجأة !

اتسعت بسمتى وعدت أرشف من النسكافيه عندما دوى حولنا صوت زجاج يتحطم ..

لم يكن هناك الكثيرون فى المطعم ، ثلاث أو أربع طاولات مشغولة فقط . اتجهت ببصرى نحو واحدة منها ، تلك الواحدة التى ترامى إلى أذنى منها ـ مع الآخرين ـ الصوت المدوى ..

ومن وراء نظارتى رأيت كل شىء ..

طاولة بعيدة نوعًا ، يجلس إليها رجل أنيق وقور ، حاد القسمات ، أصلع الرأس وأشيب الفودين ، يتبدى قصر قامته فى جلاء حتى وهو جالس .. حاجباه الكثان ينعقدان فوق عينين منقوعتين فى ماء الصرامة ، وأمامه أطباق من المأكولات البحرية ، بالإضافة إلى زجاجة من (الشمبانيا) تبرز عبر دلو مكتظ بمكعبات الثلج الشفافة .. خلفه يقف حائط بشرى يتمثل فى رجل غليظ الملامح والعضلات ، يرتدى سترة ترتسم فوقها المربعات الملونة ، يراقب الجميع فى نظرات متحفزة ..

وعلى نفس المائدة جلست هى ..

أعرفها جيدًا كما لا يجهلها الآخرون بكل تأكيد ..

شعر مصبوغ بشقرة الذهب مع خصلات فى لون النار الحمراء ، عينان واسعتان فيهما زرقة ونزق وبراءة ، شفتان مكتنزتان فى إغراء ، وأنف مستدق أشبع الكثير من عمليات التجميل التى أجريت له قبل أن يصعد مع صاحبته إلى سماء الفن والشهرة ، وملابس بسيطة ذات ذوق عالٍ يشى بوجود خبير انتقاه لها ..

نعم ، إنها نجمة الغناء الحديث (حنان غانم) ، حديث المدينة والشباب طوال الشهور الماضية منذ ظهرت فجأة فى (فيديو كليب) وحيد ، حملها على أجنحة الفن والنميمة المكتوبة والشائعات المتناقلة فى الخفاء إلى سماء الشهرة ، والنجاح السريع ..

اتسعت عيناى وأنا أغمغم لنفسى باسمها ، مراقبة الكأس الزجاجى الذى تحطم عند قدميها فأغرقت محتوياته بعضًا من بياض بنطالها (البيرمودا) القصير ، فيما بدا حادثًا عرضيًا يقع ببساطة ..

احمر وجه (حنان) وقد أحرجتها نظرات العيون القليلة المثبتة عليها ، وازدادت ملامح الرجل الذى تجلس إليه

صرامة فيما تحفز الواقف خلفه أكثر وأكثر ، حتى بدا وكأنه سينقض عليها ليحملها حملا إلى حيث لا يدرى أحد ..

تحركت (حنان) بسرعة ، ونهضت مهرولة حتى اختفت خلف جدار من الخشب يعلوه تخطيط كروكى لامرأة أسفله حرفان لاتينيان W . C !

عاد الجميع ينشغلون بطعامهم ، والتفتُ أنا إلى (هشام) سائلة :

ـ هل تعرف من هذه ؟!

هز كتفيه وقال آتيًا على قطعة الكريم كراميل أمامه :

ـ ومن يجهل (حنان غانم) ؟! ليس للناس حديث إلا عنها الآن ..

قلت فى غيرة ، جعلتنى أشك بأنها عدوى انتقلت من جراء معاشرتى لـ (هشام) :

ـ لعلك من المعجبين بفتنتها أنت الآخر !

قال متشاغلاً بالكريم كراميل عن النظر إلى :

ـ لا أنكر هذا الواقع ..

لكنه استدرك قبل أن تثور ثائرتى :

ـ .. غير أنى مفتون بكِ أكثر ..

ثم إنه توجه إلى بالسؤال وقد هدأ غزله العنيف من روعى :

ـ .. هل تعرفين أنتِ من هذا الذى معها ؟!

كدت ألتفت ناظرة إلى حيث يجلس الرجل فأتحقق من هويته ، غير أننى قررت التحلى ببعض اللياقة ، فلم أفعل واكتفيت بالقول :

ـ هيئته مألوفة ، لكنى أكذب إن قلت إننى أعرفه ..

ـ (مجدى فاخر) ..

رشفت من النسكافيه وقلت :

ـ الاسم أيضًا ليس غريبًا .. رنينه مألوف ، لكنى أكذب ـ مرة أخرى ـ إن قلت إننى أعرف صاحبه !

ـ إنه رجل أعمال معروف ، وأحد حيتان الاقتصاد الذين ظهروا فى السنين الأخيرة ..

ـ فى أى نشاط يعمل ؟!

ـ كل ما تتصورينه وما لا تتصورينه .. المبانى والغذاء والصناعة والزراعة والثقافة والإعلام وما يستجد .. حتى إنه اشترى الشركة التى أنتجت ألبوم (حنان غانم) منذ شهور ، مقتحمًا سوق الإنتاج الفنى والغنائى بوجه خاص ..

ـ لعل هذا ما يجمعهما هنا معًا ..

ـ كل شىء جائز !

فجأة تركت قدح النسكافيه ، وقد برق الخاطر فى رأسى دون سابق إنذار ..

إنها فرصتى التى لا يجب أن أضيعها ..

ـ .. إلى أين ؟!

تساءل (هشام) مستغربًا وهو يرانى أنهض ، فقلت قبل أن أبتعد :

ـ إلى دورة المياه ..

وابتعدت حتى اختفيت وراء التخطيط الكروكى للمرأة ، المدون أسفله حرفان لاتينيان هما الـ W . C !

إنها فرصتى للتعرف على هذه الفتاة التى أصبحت نجمة فى لا وقت ، فربما أقتنص منها حوارًا صحفيًا قويًا ، أبعد به شبح الشك فى كون السيد (س) هو سبب نجاحى الوحيد ..

كأنى أريد أن أثبت لنفسى العكس قبل أن أثبته للآخرين ..

هل هزتنى كلمات (تامر فوزى) إلى هذا الحد ؟!

لا أستطيع إنكار أن هذا ما حدث بالفعل ..

دفعت الباب الخشبى خلف الحاجز بيدى ، فاحتوتنى دورة المياه النظيفة ذات البلاط اللامع ، والأحواض المتراصة أمام المرايا البراقة ، ورائحة الصابون والعطر ..

انغلق الباب خلفى .. تقدمت فى حذر وقد باغتتنى أصوات مكتومة غريبة ..

أصوات أشبه بالأنين .. أو ...

أو بالنواح !

واصلت تقدمى الحذر ، وفى ركن المكان رأيتها ..

(حنان غانم) الرقيقة مثل فراشة فى بساتين الجنة ..

ظهرها كان لى ، وهى متكومة على نفسها تنشج فى ألم أمام إحدى المرايا ..

لم يكن خداعًا بصريًا ، واثقة أنا من أنها كانت تبكى ..

ـ ما بك ؟!

قلتها وأنا أتقدم نحوها مقطبة ، فتمالكت (حنان) نفسها فى سرعة ، وأخذت تمسح دموعها السوداء ـ نظرًا لاختلاطها بالكحل ـ بكفيها ، وتحاول الابتعاد بوجهها عنى ..

أعرف أنها لحظات خاصة جدًا يحب الإنسان فيها أن يكون وحده ، ويتمنى لو كان قد خُلق فى هذه الدنيا بمفرده دون آخرين ينغصون عليه مثل هذه اللحظات ، لكن سخافتى كانت أقوى منى فوقفت مثل الصنم ، انتظارًا لانتهائها من مواراة ضعفها ودموعها ..

ـ آسفة ، لم أكن أقصد ..

قالتها وهى تستعمل منديلاً أخرجته من حقيبتها المستندة على حافة الحوض ، وأخذت تنظف بها وجهها المسود ..

ـ كنتِ تبكين ..

قلتها وأنا أعبس وأعقد ساعدىّ أمام صدرى فيما يشبه التحدى الرخيص ، الذى تشاهده فى أفلام الحركة من الدرجة الثالثة ، فاغتصبت (حنان) بسمة شنيعة وهى تقول :

ـ كلا ، شىء ما دخل فى عينى .. هذا كل ما هناك ..

هذا أيضًا عذر أسمعه كثيرًا فى المسلسلات العربية الاستهلاكية ، فهززتُ قحوفى مكررة دون أن ينفك اتحاد ذراعىّ :

ـ كنتِ تبكين ..

ارتبكت (حنان) وهى تحاول أن تقول :

ـ إنـ .. أعنى .. الـ .. اتركينى وشأنى من فضلك ..

واندفعت مغادرة الحمام على الفور ، تاركة إياى وحدى ، واقفة بذراعين معقودين أمام المرايا المتقابلة ؛ التى تعكس عددًا لانهائيًا من صورى ..

عشرات النسخ من (نسرين الجبالى) فى وضع التحدى المقتبس من أفلام الحركة ..

رائع ، قلتها لنفسى وعيناى تبرقان (أولعل هذا ماتوهمته !) !

يبدو أن وراء (حنان) هذه قصة تتجاوز مجرد حوار صحفى ينشر فى صفحة الفن ، تتحدث فيه عن مشروعاتها الغنائية القادمة ، وعن الحب المؤجل فى حياتها حتى تتحقق طموحاتها الفنية ..

وابتسمت أكثر ..

إن الحظ عندما يبتسم ، فلابد وأن تبادله الابتسام ..

حركة لا إرادية بحتة !

ومتى يمكن أن يبتسم الحظ لى إذا لم يكن قد ابتسم الآن وأنا أنظر إلى حافة الحوض ، فأجد حقيبة (حنان غانم) التى نسيتها فى خضم ارتباكها ؟!

ومتى يمكن أن يكون الحظ أكثر كرمًا عندما أخرج من الحمام فأجدها قد غادرت ، وأجد الرجل الذى كانت تجلس إلى ماندته قد غادر هو الآخر ؟!

ـ تأخرتِ يا (نسرين) !

قالها (هشام) فى بعض اللوم ، ثم أتبع بقوله وهو يرمق الحقيبة التى أمسك بها فى تعجب :

ـ .. ما هذا ؟! لم تكن هذه الحقيبة معك عندما أتينا !

هززت رأسى أن نعم ، ولم أجبه بغير بسمة عريضة أشكر بها حظى الحسن !

* * *

إنه الفصل الثالث تقريبًا !

وبخ الدكتور (فاروق الجبالى) ابنته الحمقاء ، التى التصق ظهرها الصغير بالجدار ، هاتفًا :

ـ الفتاة المهذبة لا تفتح حقيبة أحد دون إذنه ..

هزت الابنة الحمقاء ـ أنا طبعًا ـ رأسها فى سرعة وقوة ، وقد هالها أن تثير غضب أبيها إلى هذه الدرجة ، لمجرد أنه دخل حجرته فوجد حقيبته السوداء المقدسة مفتوحة ؛ كبطن جريح حرب ..

كانت تعرف ـ برغم سنوات عمرها التى لم تتجاوز الخمس ـ أنها مذنبة ، وكان هو يشعر بهذا ، لكن غضبه كان أكبر منه ومنها ، وغريزة التربية الأبوية فى أعماقه كانت فى أعلى معدلات أدائها :

ـ .. إياك أن تفعليها ثانية .. اتفقنا ؟!

عدت أهز رأسى فى حماقة مذعورة ، وأنا أكاد أصاب بنوبة قلبية تقضى على حياتى ..

دنا منى فى وقفتى الملتصقة بظهر الجدار .. عيناى متسعتان حتى شابهتا رسوم (المانغا) اليابانية ، ودموع الألم الحزين تترقرق فيهما ببراءة ..

لن أفتح حقيبة أحد دون إذنه مرة أخرى .. هذا وعد يا أبى .. المقترب منى إلى حد الملامسة ..

لن أفتح حقيبة أحد ..

انحنى أبى ليقرب وجهه من قامتى الضئيلة ، وانغلقت عيناى فى خوف عندما ارتفعت يداه إلى وجهى ..

سيضربنى ، سينهال بصفعة على وجهى ، سأنال عقابًا شديدًا نتيجة فعلتى الشنيعة .. وما على إلا أن أكون على استعداد ..

ـ .. لا تخافى ..

لامست أصابعه خدى فى رفق ..

ـ .. لماذا ترتعدين هكذا ؟!

وانفجرت فى بكاء عنيف لم أدر له سببًا حتى الآن !

* * *

أنا وحقيبة (حنان غانم) .. وحدنا فى المنزل بعد ساعات النوم القليلة ..

غرفتى ، جالسة على سريرى ، ليس سوى ضوء المصباح الشاحب إلى جوارى ، والصراع فى أعماقى محتدم على أشده ..

فلاش باك الطفولة يسطع أمام عينى ، ويدوى فى أذنى ، وأكاد أستشعر له ملمسًا ورائحة وطعمًا بما يكفل اتصياعا تامًا لحواسى الخمس ، وفى المقابل صوت الفضول الصحفى / الأنثوى إياه يناديني ويتوسل إلىّ أن ألقى ولو نظرة واحدة ـ صغيرة وسريعة وخاطفة ولحظية ومكوكية ـ على محتويات الحقيبة ..

هل كان علىّ أن أترك الحقيبة فى أمانات الفندق الذى كنا نتناول فيه طعام الغذاء ؟!

ربما .. لكنى أسكتّ ضميرى بأن بعض الموظفين قد لا يتمتعون بالأمانة الكافية التى تعينهم على إرجاع الحقيبة لصاحبتها ، وهو ما سأفعله أنا بكل تأكيد ..

هل اقتنع (هشام) بأن الحقيبة حقيبتى كما أخبرته ، برغم يقينه بأنى لم آت بها ، وتأكيدى له بأنها كانت معى منذ البداية ؛ لكن الرجال لا يلاحظون مثل هذه الأمور النسائية التافهة ؟!

هل انطلت عليه كذبتى البيضاء حقًا ؟!

ربما هذا ما حدث ، وربما تجاوز (هشام) الأمر وألقاه وراء ظهره ، فهو لن يأخذ منى حقًا أو باطلاً كما يعلم ، وأعلم ، وتعلمون !

أغلقتُ عينيّ للحظة وفكرتُ : زجاج كأس يتحطم عند طاولة طعام ، وفتاة تبكى بعدها بلحظات منفردة بنفسها فى حمام السيدات .. فتاة صاعدة وكهل ثرى وضخم يرتدى سترة ذات مربعات ملونة ..

فى الأمر قصة صحفية فريدة بكل تأكيد ..

قصة تحتاج لصحفية شابة ـ لا تنقصها الحيوية ـ مثلى ، تجلو عنها غبار الملابسات ، ليتضح فيها بريق الحقيقة ، ولتسطع منها شمس الانفراد !

الحقيبة هى سندى الوحيد فى رحلة البحث ، وخيط البداية الواهى الذى لا مفر من تتبعه ..

هكذا انفتحت عيناى ، وعلى الرغم منى وجدت أصابعى تتسلل إلى قفل الحقيبة الذى طاوعها ببساطة ، كأن الحقيبة كانت تنتظر من يفتحها ..

نجحت فى كبت كل خواطرى وذكرياتى ، ومعها شعورى بالذنب أو التلبس بالتلصص ، فعلى الصحفى منا ألا يفكر فى الأمور بهذه الطريقة المغرقة فى المثالية ..

قلبت الحقيبة رأسًا على عقب ، فتناثرت محتوياتها على غطاء السرير الذى أتمدد فوقه ؛ مسندة ظهرى إلى مقدمته ..

كم مرة تمنى المرء منا أن يشاهد محتويات حقيبة نجم أو نجمة ، ليرى ما فيها ؟!

وما سر هذه الرغبة الملحة الكامنة فى قلب كل واحد أو واحدة منا بأن يفعل ؟!

نظرت إلى الأشياء المتناثرة فى شغف ، ولم أفاجأ عندما لم أجد ما يفاجئنى !

قلم رصاص .. قلم كحل .. قلم تحديد شفاه .. إصبع طلاء شفاه .. كيس مناديل ورقية معطرة .. قنينة عطر صغيرة .. مشابك شعر .. شريط كاسيت لا يحمل أى علامة مميزة .. دليل هواتف صغير ذو غلاف ذهبى لامع .. أوراق نقدية قليلة القيمة .. محتويات عادية لحقيبة نسائية عادية ؛ تشهد على أن النجمة فى النهاية ليست إلا امرأة كأى امرأة أخرى !

●

كل شىء كان عاديًا إذن ، فيما عدا ..

فيما عدا تلك الصورة الفوتوغرافية المقلوبة ، والتى استدللت على هويتها ـ كصورة فوتوغرافية ـ من خلال حوافها المشرشرة ، ومن خلال نوع ورقها المصقول ، ومن خلال مقاسها المعروف ٦ × ٩ ..

ليس غريبًا أن تكون هناك صورة فوتوغرافية ٦ × ٩ داخل حقيبة نسائية عادية ، وليس غريبًا أيضًا أن أقلبها لأحدق فيها ، فأجد وجه شاب وسيم شفاهه الغليظة تبتسم ، والزرقة فى عينيه الناظرة إلىّ تبتسم ، وشعره اللامع المصفف بعناية يبتسم أيضًا !

من هذا ؟!

لا أحد يمكنه أن يخبرنى إلا هى بالطبع ..

(حنان غانم) ..

هكذا تجاوزنا المرحلة الأولى التى لم تكن أصعب المراحل ، وبقيت مراحل أخرى كثيرة لا تعتمد فقط على محاربة عُقَد الماضى البعيد النفسية ..

علىّ الآن ـ طبقًا لخطة واضحة وضعتها مسبقًا ـ أن أحاول الاتصال بـ (حنان غانم) ، وأن أحظى بمقابلتها والتودد إليها ، إذ ربما تكشفت أمامى بعض الأسرار ؛ التى أتطلع لكشفها على الصفحات وبين السطور ..

كيف ؟!

إلى دليل الهواتف الصغير ذى الغلاف الذهبى اللامع ..

أخذت أقلب صفحاته بأطراف أصابعى ، وأطالع الأسماء المدونة فيه ، لم أجد من بين عشرات الأسماء والأرقام ـ المدونة بخط طفل فى الابتدائية ـ من أعرفه سوى (مجدى فاخر) ـ شكرًا (هشام) ـ فى صفحة حرف (الميم) ؛ مكتوبًا بقلم تحديد شفاه أحمر ، مع رقم هاتفه المحمول أمامه ..

هل أبادر بالاتصال به ؟!

لا تبدو فكرة مريحة على الإطلاق ..

بمن أتصل ؟! بمن يمكننى البدء وسط عشرات الأسماء التى أجهلها هذه إذن ؟!

فى الصفحة الأخيرة من الدليل وجدت ضالتى ، فبقلم حبر أسود وجدت سطرًا مكتوبًا ـ بخط طفل فى الابتدائية ـ (البيت ..)

هذا رقم منزلها ..

يبدو أن هذا الدليل يحوى الأرقام الخاصة جدًا لديها ؛ لهذا لم أجد فيه اسم فتاة أخرى أو ملحن أو موزع أو أى شخص له علاقة بعملها ـ وأنا أزعم أننى أعرف أسماء الكثيرين فى هذا المجال ، وهذا يدلنى ـ بشكل أو بآخر ـ أن (مجدى فاخر) ليس مجرد شخص امتلك شركة الإنتاج التى تصدر شرائطها حديثًا ، وإنما تربطها به علاقة خاصة نوعًا ما ، وهى خصوصية أجهل عنها كل شىء بطبيعة الحال ..

أبعدت الخواطر المتراصة فى احتشاد عند بوابات عقلى ، وقررت أن أترك التأملات قليلاً ؛ لأبدأ فى الفعل أخيرًا ..

طلبت الرقم المدون فى الصفحة الأخيرة ، ورن الهاتف الذى طلبته مرة وأخرى ، حتى دوى صفير ما ، ثم ..

ـ هذه (حنان غانم) ، أنا غير متواجدة بالمنزل حاليًا ، تستطيع ترك اسمك ورقم هاتفك بعد سماع الصفارة ، وسأعاود الاتصال بك لاحقًا ..

صوتها الرقيق ثم الصفارة ..

وضعت السماعة بسرعة وقد حسمت الأمر بينى وبين نفسى مبكرًا : لن أترك لها رسائل من أى نوع ..

سيفقدنى هذا عامل المفاجأة !

صحيح أننى لست فى رواية حركة أو فيلم هندى هاهنا ، لكنى لا أريدها أن تعتبرنى مجرد فاعلة خير ، وإنما صديقتها التى أسدت لها صنيعًا ـ لا أقل ـ وشتان ما بين الاعتبارين لمن يريد أن يعلم ..

رفعتُ السماعة مرة أخرى وطلبت الرقمين الخاصين بخدمة الاستعلامات .. رن الهاتف طويلاً حتى أتانى صوت الموظف شبه النائم :

ـ نعم !

تجاهلت سخافة استهلاله للمكالمة ، وقلت :

ـ من فضلك لدى رقم هاتف أريد الحصول على العنوان التابع له ..

ـ نعم !

قالها ثانية بنفس النبرة النائمة السخيفة ، ولما كنت لا ألقى بالاً فى المعتاد لهذه الصغائر ، فقد أمليته الرقم وانتظرت قليلاً حتى أعطانى العنوان ..

(الزمالك) ، الحى الراقى البعيد عن مسكنى خاصة بعد التاسعة مساء !

لم أشكر الرجل ، وفكرت أن أغلق السماعة على الفور دون أن أنطق بكلمة ، لكنه سبقنى وفعلها .. كان من الممكن أن أحترق غيظًا لولا أننى لا ألقى بالا لهذه الصغائر فى المعتاد !

الآن لدى عنوان يمكننى الذهاب إليه ، لكن الوقت متأخر بالفعل ، وأنا ما زلت أذكر أننى فتاة لا يمكنها فعل ما تريد وقتما تحب ..

كيف أحل هذا الإشكال البسيط (كونى فتاة) ؟!

بعض الإشكالات تنحل من تلقاء نفسها فى الوقت المناسب تمامًا ، ولولا هذا لما كانت الحياة محتملة أبدًا !

هذا صوت المفتاح يدور فى باب الشقة ، وهذا صوت أبى يناديني من الخارج :

- (نسرين) .. (نسرين) .. لقد عدت اليوم مبكرًا كما وعدتك يا صغيرتى !

ابتسمت فى أعماقى ..

سيستغرق إقناع أبى بمهمتى السريعة هذه بعض الوقت ، لكنى أعرف أنى سأنجح فى استعارة سيارته لبعض هذا الوقت .. فقط مسافة طريق الذهاب إلى (الزمالك) والعودة بأقصى سرعة ، فالأمانة التى فى حوزتى تستدعى ألا أتأخر ..

أعرف أننى سوف أستطيع التأثير عليه ، ولولا معرفتى هذه لما كانت الحياة محتملة ..

أبدًا !

* * *

يمكنك اعتباره فصلاً رابعًا !

أوقفتُ سيارتى فى صف انتظار ثان .. قد أنال ملصقًا على زجاج النافذة يفيد المخالفة ، لكنى لا أنوى قضاء ليلتى فى البحث عن مكان (شرعى) أوقف السيارة فيه .. سيدفع أبى قيمة المخالفة عن طيب خاطر فداء لابنته الوحيدة ؛ أعلم هذا ..

وهل للأبناء من فائدة سوى تعذيب آبائهم ؟!

قبضت على الحقيبة وغادرت السيارة نحو البناية التى تطابق العنوان .. بوابتها الزجاجية يجلس عندها رجل أمن فى ملابس زرقاء ، وقد علمتنى الحياة أن أتصرف بكل كبرياء وصلف عند اجتياز مثل هذه المداخل ..

أى تعبير متردد غير ملائم سيجعلنى فريسة لرجل الأمن هذا .. سيسألنى عن هوية الشخص الذى أقصده ، وسينهال على رأسى بتعليمات لا أول لها ولا آخر ، وربما تمادى متطوعًا بتوصيل الحقيبة إلى صاحبتها .. أما فى حالة التعبير الواثق المتعالى المشمئط المرتسم على وجهى وأنا أعبر من أمامه - فى موقف كهذا - فسيتابعنى بعينيه فى صمت ، وقد تنقل التردد إليه هو عبر الأثير .. سيفكر فى أنه لو تعرض لى فلربما ينقلب

هذا عليه وعلى مستقبله كرجل أمن ، وربما ينتهى من اجترار أفكاره السوداء هذه ، يكون باب المصعد قد انغلق علىّ ؛ صاعدًا بى إلى الطابق الرابع حيث أقصد ..

هكذا علمتنى الحياة !

أنا الآن أمام باب شقة (حنان غانم) أضغط زر الجرس دون أن يفتح لى أحد ..

لكن .. حتى متى ؟!

مر وقت طويل ، لا يمكن أن أستدل منه إلا على أن أحدًا ليس فى الداخل ..

كدت أعود أدراجى .. لكن شيئًا ما جعلنى أحجم ..

ربما تلك الضجة المكتومة خلف الباب .. ربما الضوء المنبثق عبر العين السحرية ، الذى اختفى فجأة كأن هناك من يتعمد إغلاق النور فى الداخل .. ربما آثار التراب الحديثة على سجادة المدخل المزدانة بالتعبير الإنجليزى (Welcome) .. ربما إحساسى بالخطر وحاستى السادسة التى لم ترقَ إلى درجة (أرى أناسًا موتى) بعد ..

لكنى قررت عدم التراجع بأى حال .. ماذا يمكنى أن أفعل لدخول هذا المنزل بهدوء ، وأنا لست فى مهارة (آرسين لوبين) ؟!

هنا رن هاتفى المحمول بأغنية (عبد الحليم حافظ) المميزة ..

ليس هذا وقت مكالمات بالمرة ، خاصة عندما تكون مكالمة واردة من رقم مجهول غير قابل للظهور على الشاشة ..

إنه السيد (س) بالتأكيد ..

السيد (س) الذين يلصقون نجاحى به ، والتهمة التى أجاهد الآن لنفيها ..

نظرت فى الشاشة مليًا والأفكار تتصارع فى رأسى .. لن أقبل مساعدته لى هذه المرة مهما كان هذا مفيدًا ، ومهما اختصر علىّ من طريق .. على أن أثبت لنفسى قبل الآخرين أننى جديرة بالنجاح ، وأننى لم أبن اسمى ـ الذى ما زال مغمورًا لكنه يصعد ببطء واثق ـ على أكتاف رجل لا يعرفه أحد ..

معذرة يا سيد (س) ، لكنى سأرفض مكالمتك هذه ..

وهكذا ضغطت زر رفض المكالمة ليصمت رنين الأغنية ، وأنا أشهق غير مصدقة أننى استطعت فعلها !

إن كرامتى تؤلمنى حقًا ..

استدعت قدرتى القديمة - هل مازال أحد يذكرها ؟! - على السمو فوق مستوى الأحداث ، ودسست هاتفى المحمول فى جيبى ثم وقفت فى اعتداد ..

أنا الآن على أهبة الاستعداد للعمل منفردة ، متحملة فى سبيل ذلك كل العواقب مهما كانت قاسية ، وعلى أهبة الاستعداد أيضًا لطرح نفس السؤال مرة أخرى ..

ماذا يمكننى أن أفعل ؟!

عدت إلى المصعد ، ورفعت سماعة (الدكتافون) المعلق إلى جوار بوابتيه ، والذى يتيح لكل السكان الاتصال بمكتب الأمن أمام مدخل البناية ، ذلك المكتب الذى يجلس إليه رجل الأمن إياه ..

ضغطت زر الجرس وانتظرت الطرف الآخر ..

- الأمن معك ..

صوته أخيرًا ، ثم صوتى المغلف بخوف لم يكن كله مصطنعًا :

- من فضلك .. أنا أواجه مشكلة هاهنا فى الطابق الرابع !

رجل الأمن مازال هادئًا :

- مشكلة من أى نوع يا سيدتى ؟!

وخوفى غير المصطنع يتفاقم :

- لا أعلم .. لكن شيئًا ما يحدث فى شقة الفنانة (حنان غانم) !

سألنى بعد هنيهة من الصمت ، أستطيع أن أتصور بعينى خيالى تقطيبته خلالها :

- ومن تكونين أنتِ يا سيدتى ؟!

أدليت ببعض الحقيقة واحتفظت لنفسى بالبعض الآخر :

- صديقة لها أتت لزيارتها .. لقد مررت من أمامك قبل دقيقة ..

هنيهة أخرى من الصمت ، ثم عاد يسألنى مستريبًا :

- ما الذى يحدث عندك بالتحديد يا سيدتى ؟!

لم أحر جوابًا :

- يمكنك أن تأتى لترى بنفسك يا سيدى ..

وأغلقت السماعة على الفور ..

سيأتى ، أعرف أنه سيفعل .. وما على إلا الانتظار ومحاولة تدبير ما يقال حتى يصل ..

أرقام المصعد تشير إلى الطابق الأرضى .. الأول .. الثانى .. الثالث .. الرابع .. ثم ينفتح المصراعان عن رجل الأمن بملامح يشوبها التوتر ..

لهث رجل الأمن هاتفًا :

ـ ماذا يحدث هنا أيتها السيدة ؟!

أشرت إلى باب شقة (حنان غانم) وأنا أهتف فى وجل مغلف ببعض الكذب الأبيض :

ـ سمعتُ استغاثة من الداخل !

نظر نحوى مقطبًا فى شىء من عدم التصديق :

ـ استغاثة ؟! صرخة تقصدين ؟!

هززتُ رأسى أن نعم ، وقلت فى محاولة لاستفزازه :

ـ أجل ، كأن أحدًا يتعذب بالداخل .. هل يجب أن نبلغ الشرطة أم ماذا ؟!

هتف مستنكرًا (كان هذا مبتغاى بالتحديد) :

ـ الشرطة ؟! وماذا أفعل أنا هنا ؟!

ثم اتجه من فوره نحو الباب ، وأصاخ السمع خلاله لكنه لم يسمع شيئًا كما هو متوقع ..

نظر نحوى فارتسم على وجهى تعبير فزع (يالى من ممثلة بارعة فى كثير من الأحايين !) وأنا أغمغم :

ـ يجب أن نلحق بالجريمة التى تحدث فى الداخل قبل وقوعها ..

ولم أكن أعرف عن أى جريمة أتحدث ، لكن تفكيرى لحظتها كان منحصرًا فى أنه يجب أن أدخل هذه الشقة حتى أطمئن إلى أنها خالية على الأقل ..

ـ هدئى من روعك قليلاً ..

قالها رجل الأمن وقد انتقلت إليه عدوى التوتر بالإيحاء ، وأخذ يطرق الباب بقبضته ويضغط زر الجرس طويلاً دون جدوى ..

ـ أرأيت ؟! لو كانت الأمور تسير على ما يرام لفتح لنا من فى الداخل ..

صاح وهو يواصل الطرق الحثيث :

ـ ومن أدراك أن أحدًا فى الداخل أصلا ؟! لقد غادرت الست (حنان) البناية منذ ساعات ذاهبة إلى ..

شهقت وقاطعته هاتفة فى تهويل ـ قد لا يستحق الموقف ربعه :

ـ إن الخطر جسيم إذن .. هيا ، افتح هـذا البـاب بـأى وسيلة ..

توقف رجل الأمن عن طرق الباب ، وتوترت كل خلية من خلاياه وهو يغمغم فى قلق :

ـ لكن هذا قد يعرضنى للـ ....

قاطعتُه متجهة نحو الباب فى اندفاع :

ـ ألا تفكر إلا فى نفسك أيها الأنـانى ؟! دعنـى أنـا أفعلها بنفسى إذن ..

أبت رجولته الشرقية أن يترك أنثى مثلى تقوم عنه بهـذه المهمـة ، فأبعدنى عن طريقه برفق وهو يقول ؛ دون أن يخف توتره أنملة :

ـ مـن فضلك .. أنت أضعف مـن أن تحطمـى بابًا قويًا كهذا ..

واستعد بكتفه لكسر قفل الباب ، متحفزًا على مسـافة مناسبة ..

فى ظروف أخرى أبتسم فى ظفر عندما أصل لهدفى ، لكن الظرف هنا لم يكن مناسبًا بالمرة كما هو واضح ..

اندفع رجل الأمن بكل قوته مرتطمًا بالخشب الصلد ، وفى الارتطام الثالث طاوعه القفل وأتت المفاصل المعدنية مع تأرجح الباب المفتوح إلى الداخل ..

وعندما نظرت فى الداخل لم أجد إلا الظلام والسكون التامّين ..

وقف رجل الأمن بجوارى يلهث ، واندفعت أنا بكل نزق نحو الداخل فهتف من ورائى :

ـ انتظرى أيتها السيدة .. إن الـ ..

لم أسمع بقية عبارته ، واحتوانى الظلام إلا مـن بصيص ضوء ينبع من نهاية الممر الطويل بعد اجتياز الصالـة الواسعة ..

تبعنى رجل الأمن لاهثا ، وتقدم خلفى نحو الضوء حيث باب حجرة مفتوح ..

وقفنا على مبعدة من مدخلها ، هو يلهث وأنا أستعد للدخول ..

ـ أرى أن نعود أدراجنا أيتها السيدة .. إن الست (حنان غانم) صاحبة الشقة ليست هنا والـ ..

لم أسمع بقية عبارته فى اندفاعى نحو الغرفة ..

هرول من خلفى ، وعندما توقفت أنا كان هو قد بلغ الباب متوقفًا بجوارى ، ليرى ما رأيته مع الصرخة المرتعبة التى انشق عنها حلقى فجأة ..

كان هناك ..

الشاب فى الصورة الفوتوغرافية الـ ٦ × ٩ ، لكن لاشىء فى ملامحه يبتسم هذه المرة ..

جسده الذى لا يستره إلا سروال قصير يتدلى من سقف الغرفة ، ورقبته يحيط بها حبل غليظ مع بروز لسانه وجحوظ عينيه ..

شنق .. إعدام .. موت بشع فى شقة فتاة شابة بحى (الزمالك) !

ـ ما هذا ؟!

هتف بها رجل الأمن إلى جوارى لا إراديًا ، وعقله يأبى تصديق ما تنقله إليه العينان !

وفى لحظة واحدة انتبهت لتلك الحركة فى الصالة من خلفنا ، تحت جنح الظلام ..

استدرت بغتة ، ورأيت شبحًا ينسل خارجًا من باب الشقة ، حاملاً لفافة كبيرة من القماش الأبيض ..

ـ القاتل ..

هتفت بها وأنا أشير إلى الباب ، وانطلقت أهرول وخلفى رجل الأمن ثانية ، لكننا بلغنا المصعد فى نفس لحظة انغلاقه على الشبح ولفافته ، دون حتى أن أتبين ملامحه ..

وبدأ المصعد يهبط ..

الطابق الثالث ..

هتف رجل الأمن وهو يكاد يموت هلعًا :

ـ يمكننا أن نلحق به عبر السلم ..

الطابق الثانى ..

ـ .. فقط لو أسرعنا قليلاً !

وأسرعنا قليلاً ..

الطابق الأول ..

بلغنا الطابق الأرضى بالفعل قبل وصول المصعد بعدد من الثوانى ، وأشار لى الرجل بيده قائلاً ، إذ استل مسدسه المتدلى من الجراب - ربما لأول مرة فى حياته المهنية كلها :

- انتظرى أنتِ هنا ، واتركيه لى ..

الطابق الأرضى ..

تقدم رجل الأمن فى سرعة معتدلة نحو المصعد الذى انفتح مصراعاه فى هدوء ، وأمام عينى انعكس ضوء المصعد الداخلى على رجل الأمن الذى صاح مشهرًا مسدسه :

- قف مكانك ...

لكن عبارته لم تتم أبدًا ..

اخترقت رصاصة من داخل المصعد جبهته فسقط أرضًا مضرجًا فى دمائه ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها القاتل من داخل المصعد ..

قاتل أعرفه جيدًا ..

(.. حائط بشرى يتمثل فى رجل غليظ الملامح والعضلات ، يرتدى سترة ترتسم فوقها المربعات الملونة ، يراقب الجميع فى نظرات متحفزة ..)

الرجل الذى كان فى صحبة (مجدى فاخر) بالمطعم ظهر اليوم ..

تجمدتُ فى وقفتى ، وأنا أراه يهرول حاملا لفافة بيضاء كبيرة تصلح لحمل جثة كاملة ، مجتازًا مدخل البناية فى خفة طائر الواقواق المسافر ..

سؤال واحد ظل يدق كأجراس الكنائس فى رأسى ، وأنا واقفة عند طرف السلم كالصنم :

ماذا الآن ؟!

ماذا الآن ؟!

ماذا الآن ؟!

وجدت نفسى أندفع وراءه بعد لحيظات ، كانت كافية بالنسبة له حتى يضع اللفافة فى حقيبة سيارته (الألفا روميو) الرهيبة الرابضة أمام سيارتى مباشرة ، ويحتل مقعده أمام المقود فى لا زمن تقريبًا ..

ورآنى ..

كان لابد أن يرانى وأنا أقترب منه دون أن تكون لدى فكرة محددة عما يمكننى فعله فى مواجهته ، كأننى مسافة نحوه بقوة خفية أجهل مصدرها أو دوافعها ..

رأيته يصوب نحوى مسدسه وهو يضغط على أسنانه فى غضب ، ومع هذا ظللت مسافة نحوه بنفس القوة ..

رأيت الرصاصة ـ رصاصته ـ تنطلق نحوى ، وشعرت بها تخترق صدرى ، ووجدت نفسى أسقط على إسفلت الشارع والدماء تغرق كل ما حولى ..

دماء على الاسفلت مع تحياتى لـ (عاطف الطيب) و(أسامة أنور عكاشة) ، لكنها دمائى أنا هذه المرة ..

سمعت محرك (الألفاروميو) يدور ، وإطاراتها تحتك بالأرض ، وابتعدت رويدًا رويدًا عن مجال بصرى الذى يخفت تدريجًا مع دمى النازف ..

أنا أموت ، ما فى هذا شك الآن ..

رنين المحمول ـ أغنية (عبد الحليم) ـ خلفية مناسبة لوفاة (نسرين الجبالى) ، خاصة مع رقم لا تظهر تفاصيله على الشاشة مثل باقى الأرقام ..

ضوء عال يغمر الشارع من مسافة قريبة ..

ضوء يقترب فى سرعة شديدة ..

إنها سيارة شبابية (سبور) يقودها فتى عابث ، صوت مسجلها يصم الآذان وزجاجها يخفى كل شىء عن العيون ..

لن يرانى ممددة على إسفلت الشارع ، لن يقف ولن يمد لى يد المساعدة ، سيمرق من فوقى بسيارته كاتبًا شهادة وفاتى ..

سألحق بأمى وبكل من ماتوا قبلها وبعدها ..

الضوء يقترب فى سرعة خارقة وأنا أذبل ..

فقط لو أعرف سر هذا الظل البادى فى دائرتى الضوء ـ المنبعثتين من مصباحى السيارة التى تقترب منى حتى الموت ..

فقط لو أعرف ..

السيارة تقترب ..

تقترب ..

تقترب ..

وأنا ..

أغمض عينى فى هدوء ، فلا أرى من حولى إلا السواد ..

* * *

لولو

فصل خامس يحوى ملخصًا لبعض الفصول السابقة !

سواد .. سواد .. سواد ..

ثم أنسحب إلى الداخل فجأة ..

تنهار الدنيا من حولى وتمتزج فى لوحة سيريالية بلا معنى ، وفى أقل من الثانية أفتح عينىّ على اتساعهما وأنا ألهث ..

أين أنا ؟!

أنظر حولى فى رعب حقيقى ، وأجد أن كل شىء لم يزل على ما يرام ..

ـ كل شىء على ما يرام حتى الآن ..

يقولها (هشام) ، وهو يلوك قطعة اللحم الأبدية !

ـ .. لم يبق إلا تركيب (السيراميك) ودهان الحوائط ..

جالسان أمام أطباق الطعام ، فى مطعم من ذوى النجوم الخمس ، يطل على صفحة النهر الخالد ، والموسيقى الحالمة تنثر فى الأجواء عطرًا من رومانسيًا شفافًا ..

ـ .. وتكون الشقة بعدها جاهزة لاستقبال الأثاث ..

يتحدث عن شقتنا .. فنحن سنتزوج بعد ثلاثة شهور !!!

كنت لاذة بالصمت التام ، عيناى متسعتان يملؤهما الذهول ، وألهث فى انفعال رهيب برغم قطعة اللحم التى ألوكها فى فمى بدورى ..

ما معنى هذا الذى يحدث ؟!

لقد عشت هذه اللحظة مسبقًا ظهر اليوم قبل أن ..

مهلا ، ربما لم يحدث شىء بعد ، وربما كان كل ما حدث مجرد ..

مجرد ماذا ؟!

ليتنى أعلم !

عاد (هشام) يضع فى فمه قطعة من اللحم ويتحدث :

ـ .. يمكنك تحديد الموعد المناسب للسفر إلى (دمياط) !

توقف الطعام فى حلقى فكدت أختنق وأنا أسأله دون أن أسيطر على انفعالى العنيف :

ـ (دمياط) ؟!!

ـ من أجل انتقاء الأثاث المناسب !

لم أهز رأسى هذه المرة ، ونظرت إلى قطعة اللحم الماثلة أمامى فى الطبق فوجدتها ما زالت تشبه الجثة المستديرة !

فى الأمر خطأ ما بكل تأكيد ..

لقد عشت هذه اللحظة بكل تفاصيلها ، بكل حذافيرها .. اللون والطعم والملمس والرائحة بما يكفل انصياعًا تامًا لحواسى الخمس (كل شىء مكرر !) ؛ فكيف انتقلت إليها هكذا ، وقد كنت قبل لحظات أنزف على الشارع ، منتظرة أن تدهسنى سيارة شاب عابث ؛ ذات مسجل عالى الصوت وزجاج معتم يخفى كل شىء عن العيون ؟!

هل كان كل ما حدث مجرد حلم يقظه طويل ؟!

مجرد هلوسة بلا معنى ؟!

هل أملك خيالا خصبًا إلى هذا الحد ؟!

وهل أصبحت أحلامى شريط سينما له من مصداقية الواقع الكثير .. فجأة ؟!

شىء غريب يحدث لى ، شىء بلا منطق أو تفسير ..

لو حدثتُ (هشام) فى هذا الأمر الآن فسينهض تاركًا خاتم خطبتنا الذهبى على المائدة ، ولن ألومه كثيرًا فى الواقع لو أنه فعلها ..

ما زلت ألهث فى ذهول بينما الأطباق ترفع ويهبط مكانها النسكافية والكريم كراميل ، نفس الخطوات بنفس التفاصيل شهادة على صلاحيتى لمستشفى الأمراض العقلية عن جدارة !

هنا تجمدت نظرات (هشام) فوق ملامحى ، وهم بقول شىء ما ..

لكنى سبقته :

ـ تريد القول بإنك تحبنى !

ابتلع عبارته ، وانعقد حاجباه ناظرًا إلىّ فى تساؤل وتعجب :

ـ ماذا ؟!

قلتُ ويدى المرتعشة تقبض على قدح النسكافيه :

ـ أعلم أنك لم تقلها منذ زمن ، وقد شعرتَ ـ الآن فقط ـ بأنك تريد أن تفعل !

غربت فى وجه (هشام) كل الشموس وهو يغمغم :

ـ كأنك تقرئين أفكارى ..

هززت كتفى ، وقلت بعد أن رشفت من النسكافيه رشفة كاذبة :

ـ بل لقد عشتُ هذه اللحظة من قبل .. كنت أريد أن أثبت لنفسى فقط أننى عشتها بالفعل ..

قال تاركًا ملعقته الصغيرة على طبق الكريم كراميل :

ـ كلامك غامض ..

قلت معيدة القدح إلى طبقه بنفس الرعشة :

ـ أعلم أنه كذلك ..

سألنى وحاجباه ينعقدان أكثر وأكثر :

ـ مابك يا (نسرين) ؟! أشعر بأنك لستِ على ما يرام فجأة ..

تحاشيتُ النظر إليه ، وقلت :

ـ لن تصدقنى .. أعلم أنك لن تصدقنى ..

هز كتفيه ، ومال بجذعه مقتربًا منى ليقول :

ـ جربينى ..

كدت أخبره بكل شىء ، لكنى ترددت ..

هل يصدقنى فعلاً ؟!

عدت أرشف من النسكافيه عندما دوى حولنا صوت زجاج يتحطم !

إن كل شىء مكرر إلى حد يثير الريبة الحقيقية ..

اتجه الجميع بأبصارهم إلى الطاولة التى ترامى إلى الآذان منها الصوت المدوى ، ومن وراء نظارتى ـ وبعينين اتسعتا حتى الانفجار ـ رأيت كل شىء ..

الرجل الأنيق الوقور الأصلع الرأس والأشيب الفودين ، بأطباق المأكولات البحرية أمامه وزجاجة (الشمبانيا) البارزة عبر دلو الثلج .. الحائط البشرى الغليظ الملامح والعضلات بالسترة ذات المربعات الملونة .. و ....

(حنان غانم) .. الشعر الذهبى وخصلات النار الحمراء ، العينان الزرقاوان ، الشفتان المكتنزتان ، والأنف المستدق ..

غمغمتُ لنفسى باسمها مراقبة الكأس الزجاجى الذى تحطم عند قدميها فأغرقت محتوياته بعضًا من بياض بنطالها (البيرمودا) القصير ، فيما بدا حادثًا عرضيًا يقع ببساطة ..

كنتُ أعرف أنها ستنهض ـ بوجه يكسوه الاحمرار والحرج ـ مهرولة فى سرعة ؛ لتختفى خلف جدار من الخشب يعلوه تخطيط كروكى لامرأة أسفله حرفان لاتينيان W . C !

عاد الجميع ينشغلون بطعامهم ، والتفتُ أنا إلى (هشام) ذاهلة عن كل ما حولى :

ـ هل تعرف من هذه ؟!

هز كتفيه ـ كنت أعرف أنه سيفعل ـ وقال آتيًا على قطعة الكريم كراميل أمامه :

ـ ومن يجهل (حنان غانم) ؟! ليس للناس حديث إلا عنها ..

كنت أعرف أنه سيقولها ، أنا أعرف كل شىء ولا أعرف تفسيرًا لمعرفتى هذه ..

لم أشعر بالغيرة ، ولم أقل شيئًا عن إعجابه بها ولم يرد هو بالتالى بأنه مفتون بى أكثر .. إن كل شىء لا يسير وفقما تم فى المرة السابقة ، إذ أنا منشغلة بالنظر إلى الحاجز الخشبى الذى أعرف أن (حنان) تبكى خلفه الآن ..

هنا سمعت سؤال (هشام) فنظرت إليه وهو يقول :

ـ .. هل تعرفين أنتِ هذا الذى معها ؟!

هززت رأسى بالإيجاب لأجيبه :

ـ تعنى (مجدى فاخر) ؟!

نظر نحوى بعينين تملؤهما علامات التعجب ، لقد حرمته من متعة عرض معلوماته كما حدث فى المرة السابقة التى أجهل إن كانت قد حدثت بالفعل !

قال أخيرًا فى تسليم :

ـ لا بد أنك تعرفينه ، أحيانًا أنسى أنك صحفية ..

قلتُ وأنا أحاول إدراك الذى يحدث حولى :

ـ لم أكن أعرفه ، أنتَ الذى أخبرتنى عنه !

ـ أنا ؟!

قالها فى بعض الاستنكار ، قبل أن يعود إلى التسليم متابعًا :

ـ .. ربما لكنى نسيت ، لا أشعر بأنى على ما يرام اليوم إطلاقًا ..

قلت معنة فى محاولتى الإدراكية :

ـ قلتَ لى إنه رجل أعمال شهير ، وأحد الحيتان الذين

ظهروا فى السنين الأخيرة ، وإنه يعمل فى جميع الأنشطة الاقتصادية المعروفة تقريبًا ، لدرجة أنه اشترى شركة الإنتاج التى أصدرت ألبوم (حنان غانم) ليقتحم مجال الإنتاج الغنائى ، و ....

قاطعنى (هشام) متبرمًا :

- هذا ما أعرفه عنه حقًا ، لكنى أحاول أن أتذكر المناسبة التى قلت فيها مثل هذا الكلام ، إننا لا نتحدث فى أمور الاقتصاد والاستثمار كثيرًا كما تعلمين !

ولن تتذكر يا (هشام) ، فقد قلت لى هذا الكلام فى هذه المناسبة بالتحديد !

لكن .. كيف يمكننى أن أشرح لك هذا بالله عليك ؟!!

عدت أنظر إلى الحاجز الخشبى الذى يخفى الحمام التركى خلفه ، مغمغمة :

- لا بد من تفسير ما لما يحدث ، لا بد ..

- كل شىء جائز !

فجأة تركت قدح النسكافيه ، وقد قررت أن أثبت لنفسى أن ما أعرفه سيحدث بالفعل ..

- .. إلى أين ؟!

تساءل (هشام) وقد رآنى أنهض على حين غرة ، فقلت مبتعدة :

- إلى دورة المياه ..

وابتعدت حتى اختفيت خلف التخطيط الكروكى للمرأة والحرفين اللاتينيين W . C !

كل شىء يتكرر بحذافيره حتى إن الرعب يكاد يصرعنى ..

دفعت الباب الخشبى خلف الحاجز ، احتوتنى دورة المياه النظيفة ، انغلق الباب خلفى ، تقدمت فى حذر نحو الأصوات المكتومة الأشبه بالأنين أو النواح .. وفى ركن المكان رأيتها .. رقيقة ما زالت مثل فراشة فى بساتين الجنة ..

(حنان غانم) الباكية ، وأنا أتقدم نحوها مقطبة ، وأقول :

- ما بك ؟!

التشابه المريب ، كأننى فى مشهد أعيده للمرة الثانية فى البلاتوه ولكن بأداء بشع المستوى ..

- آسفة لم أكن أقصد ..

تتمالك (حنان) نفسها بسرعة، وتشرع فى مسح دموعها السوداء، ثم تمد يدها إلى حقيبتها مخرجة منديلاً تنظف به وجهها المسود ..

فيلم أشاهده للمرة الثانية ..

ـ كنت تبكين ..

أقولها بساعدين منعقدين أمام صدرى، و(حنان) تغتصب بسمة وتقول :

ـ كلا، شىء ما دخل فى عينى .. هذا كل ما هناك !

(شوهد من قبل) بالعربية، وباللاتينية Déjà vu !

أهز قحوفى وأكرر :

ـ كنتِ تبكين ..

كأن الأمور ينقصها التكرار ..

ـ إنى .. أعنى .. الـ ..

ثم النهاية المحروقة :

ـ .. اتركينى وشأنى من فضلك ..

واندفعت (حنان) تغادر الحمام على الفور، تاركة إياى وحدى، واقفة بذراعين معقودين أمام المرايا المتقابلة التى تعكس عددًا لانهائيًا من صورى ..

عشرات النسخ من (نسرين الجبالى) التى ينتفض قلبها بين الضلوع كطائر مذبوح ..

كنت أنظر إلى حافة الحوض، وبالتحديد أكثر إلى حقيبة (حنان غانم) التى نسيتها فى خضم ارتباكها ..

التكرار .. التكرار ..

متى سيصيح المخرج (ستوب !) ؟!

ـ تأخرتِ يا (نسرين) ..

قالها (هشام) فى بعض اللوم، بينما كنت أبحث أنا بعينى من حولى عن (حنان) لأجدها قد غادرت، والرجل الذى كانت تجلس على مائدته قد غادر هو الآخر ..

ـ .. ما هذا ؟!

أتبع بها (هشام) رامقًا الحقيبة التى أمسك بها ..

ـ .. لم تكن هذه الحقيبة معك عندما أتينا !

هززت رأسى أن نعم ..

نعم يا (هشام) ، هذه ليست حقيبتى ..

وما يحدث لى أكثر من أن أستطيع احتماله بمفردى ..

سأقص عليك كل شىء ..

وعذراً إن لم أرسم على محياى ابتسامة عريضة ، أو أن أشكر حظى الذى توهمته ـ للحظة خاطفة ـ حسنًا !

* * *

فصل سادس لا علاقة له بما فات !

لم يوصلنى (هشام) إلى منزلى ، وإنما استجاب لطلبى بالذهاب إلى مكتبه رأسًا فى مبنى المباحث الجنائية ..

ـ هل تطلبين منى تصديق هذا يا (نسرين) ؟!

سألنى هذا السؤال بعد أن فرغت من سرد قصتى الغريبة على مسامعه ، وهو نفس السؤال الذى كنت سأستخدمه فى حال تبديل الأدوار ..

إن القصة التى رويتها له لم تقتضى أنا شخصيًا !

ـ هذا ما حدث ..

قلتها فى شىء من الارتباك الحائر ، وقد اضطربت نظراتى الموجهة إلى الحقيبة ؛ أعنى حقيبة (حنان غانم) المستقرة على سطح مكتبه لو لم يكن هذا مفهومًا ..

أبعد (هشام) نظراته التى تلتهمنى حية أخيرًا ، وقال :

ـ أعتقد أنك فى حاجة لبعض النوم ..

هززت كتفىّ قائلة :

ـ لن ألومك لو استهنت بى أكثر !

ـ لم أقصد هذا ، لكن عقلى عاجز عن استيعاب ما تقولينه ..

قالها ثم استطرد :

ـ .. إنك تقصين علىّ ما حدث فى المطعم ، ثم تقولين إنك الليلة ستذهبين إلى شقة (حنان غانم) فى (الزمالك) ، وتشاهدين هناك شابًا مشنوقًا ، بينما يهرب رجل (مجدى فاخر) حاملا جثة (حنان غانم) فى سيارة (ألفا روميو) ، وتلقين أنت مصرعك على قارعة الطريق .. سيناريو يليق بفيلم حركة رخيص من الدرجة الثالثة !

إن (هشام) يستخدم تعبيراتى بكثرة هذه الأيام ..

ـ .. الأدهى أنك تقولين إنك تخوضين الآن نفس الحدث ، كأن الدائرة التى انفتحت منذ كنا فى المطعم تدور مرة أخرى .. هل معنى هذا أن ما حدث سيحدث مرة أخرى أم ماذا ؟!

هززتُ كتفى وقلت :

ـ وما أدراك أن ما حدث قد حدث فعلا ؟!

قال (هشام) فى حنق :

ـ لا تغضبى منى إن قلت إننى عاجز عن فهمك ..

ـ سأحاول التفسير قدر استطاعتى ..

وحاولت :

ـ .. أعنى أن ما رويته لا يتعدى مجرد رؤيا ما تجلت لى وأنا جالسة فى المطعم ، رؤية تتحقق بحذافيرها كما رأيت بنفسك !

سألنى مستهينًا :

ـ لمجرد أنك استنتجت رغبتى فى الهمس لك ببعض الكلمات الرومانسية ؟!

أجبته فى صبر :

ـ ليس هذا فحسب ، هناك الزجاج المحطم والحقيبة و ...

وبرقت الفكرة فى رأسى فبترت عبارتى وقلت مشيرة إلى الحقيبة :

ـ .. أستطيع أن أخبرك بمحتوياتها بكل تفصيل حتى تصدقنى !

نظر (هشام) إلى الحقيبة بدوره وقال :

ـ لم أكن أعرف أننى سأتزوج من حفيدة (نوستراداموس) ..

بدأت فى اعتصار ذاكرتى ، ولم يكن الأمر صعبًا إلى هذا الحد :

- قلم رصاص .. قلم كحل .. قلم تحديد شفاه .. إصبع طلاء شفاه .. كيس مناديل ورقية معطرة .. قنينة عطر صغيرة .. مشابك شعر .. شريط كاسيت .. دليل هواتف .. أوراق نقدية ..

رفع (هشام) عينيه نحوى بعد أن نظر فى محتويات الحقيبة ، وجاهد لكبح انفعاله مغمغمًا :

- هذه محتويات أى حقيبة نسائية عادية !

وضعت يدى على خصرى قائلة فى تحدٍ :

- ماذا عن الصورة الفوتوغرافية إذن ؟!

أخرج الصورة مقاس ٦ × ٩ ونظر فيها مقطبًا ، بينما قلت أنا :

- شاب وسيم له شفاه غليظة وعينان زرقاوان وشعر لامع مصفف بعناية ..

غمغم (هشام) سائلا نفسه :

- من هذا ؟!

أجبته فى سرعة كأنى قد أعددت الجواب مسبقًا (هذا ما حدث !) .

- لا أحد يمكنه أن يخبرنا إلا هى .. (حنان غانم) بالطبع ..

وأردفت على الفور :

- هذا هو الشاب المشنوق فى شقتها بالمناسبة !

هز كتفيه معيدًا الصورة إلى الحقيبة :

- تقصدين من سيتم شنقه هذا المساء :

سألته وأنا أراه يغلق الحقيبة ويعيدها إلى سطح مكتبه فى هدوء :

- ألن تفعل شيئًا ؟!

عاد يهز كتفيه ، ويقول :

- لسنا فى فيلم (تقرير الأقلية Minority Report) كما تعلمين ، حتى يمكننا منع الجرائم قبل وقوعها !

- أعلم ولكن ..

لم أجد ما يقال .. إن (هشام) محق ؛ حتى لو كان فى هذا ما يضايقنى ..

- عملنا فى الشرطة لا يعترف بالنبوءات يا (نسرين) ..

إنه محق مرة أخرى ، وعلىّ أن أتصرف بمفردى ـ كما هو الحال دومًا ـ ما دمت قد تقمصت دور بطلة فيلم (المصير الأخير Final Destination) !

ـ .. لن أستطيع أن أبنى تحرياتى على نبوءة خطيبتى !

محق للمرة الثالثة ، وهذا ما دعانى لحمل الحقيبة بيدى بكل أنفة ، مما دعاه لسؤالى :

ـ .. ماذا ستفعلين ؟!

قلتُ فى ثبات :

ـ لا تخش شيئًا ، إن خطيبتك تعرف ما تفعله جيدًا ..

تطوع بقوله :

ـ يمكننا أن نعيد الحقيبة إلى صاحبتها طبقًا لمحضر رسمى ..

فى ثبات قلت :

ـ أفضل أن أفعل هذا بنفسى ..

وأتبعت فى ثبات :

ـ فقط دعنى أطلب منك معروفًا صغيرًا ..

اندفع قائلاً كأنه يعتذر لى عن موقفه الذى لا حيلة له فيه :

ـ تمنّى علىّ !

قلت :

ـ لدى رقم سيارة (الألفا روميو) ، وأريد فقط الكشف عن مالكها ..

سألنى مستبعدًا :

ـ السيارة التى رأيتها فى رؤياك هذه ؟!

هززت رأسى بالإيجاب ، فزفر فى عمق .. خمنت أنه سيبدأ فى الجدل الطويل لكنه خيب ظنى ، ومد لى يده بورقة صغيرة وقلم ، قائلاً فى استسلام :

ـ اكتبيه هنا ، وسأتصل بك فور وصولى لشىء ..

* * *

الساعة تجاوزت الخامسة عصرًا بقليل ..

ما زال أمامى بعض الوقت قبل أن أنزف دمى على الأسفلت ، ولعمرى فهو إحساس مقيت بأن تفصلك بضع ساعات عن موقف كهذا ..

نقطة البداية فرضت نفسها علىّ فرضًا ، فهاهى ذى سيارة الأجرة تقف بى أمام تلكم البناية فى حى (الزمالك) .. البناية التى طابق منظرها ما رأيته مسبقًا إلى درجة أرعبتنى ، وبثت القشعريرة جيوشًا من النمل المتوحش فى أوصالى ..

ما زلت قابضة على الحقيبة بعد هبوطى منها ، واتجهت من فورى إلى البوابة الزجاجية التى يجلس عندها رجل الأمن إياه ، ذلك الذى زينت رأسه رصاصة دموية بعد قليل !

هو ببذلته الرسمية الزرقاء ونظرة التحفز فى عينيه ، تلك النظرة التى قابلتها بصلف وكبرياء أعجز عن محاكاتهما الآن ؛ وأنا أقف أمامه كطفلة بليدة تمسك بحقيبة نسائية ..

وهكذا أصبحت فريسته ، ألم أقل إن هذا سيحدث ؟!

ـ ماذا تريدين يا آنسة ؟!

هكذا علمتنى الحياة !

قلتُ وأنا أجاهد لإبعاد صورته صريعًا عن مخيلتى :

ـ هنا تسكن الفنانة (حنان غانم) .. أليس هذا صحيحًا ؟!

بدأ فى تقمص دور لا يناسبه ، إذ زوى حاجبيه متسائلاً :

ـ وماذا تريدين منها ؟!

ـ لا أريدها أن توقع لى على ياقة قميصى بالطبع ، إن لها معى أمانة ..

الدور الذى لا يناسبه يتقمصه :

ـ هذه الحقيبة ؟!

هززت رأسى بالإيجاب ، فقال كأنه (كولومبو) شخصيًا :

ـ يمكننى أن أوصلها لها ، وشكرًا لكِ على أية حال ..

هكذا علمتنى الحياة !

ـ أفضّل أن أفعل هذا بنفسى لو كانت موجودة ..

مط الرجل شفتيه ممتعضًا ، وأمسك بسماعة الهاتف المجاور له ليضغط بعض الأرقام ، وانتظر وانتظرتُ ، حتى ..

ـ آلو .. هنا الأمن يا سيدتى .. نعم .. هناك آنسة تطلب مقابلتك .. أعلم أنكِ مشغولة لكنها تحمل أمانة خاصة لك .. أجل يا سيدتى حقيبة يد نسائية .. هل آخذها منها أنا ؟! حسنًا ، سأجعلها تصعد إليك فى الحال !

هذا أكثر مما توقعت بكثير ..

أشار رجل الأمن بيده نحو المصعد فى خيبة أمل ، وقال :

ـ .. يمكنك أن تتفضلى .. الطابق الرابع شقة رقم ..

قاطعته فى غبطة لم أدرِ لها مصدرًا :

ـ شكرًا يا سيدى ، لكن دعنى أسألك قبلها سؤالا ..

رفع نحوى عينين مستغربتين ، فرفعت فى وجهه صورة مقاس ٦ × ٩ ..

ـ .. هل تعرف صاحب هذه الصورة ؟!

ضيق الرجل عينيه بشدة ناظرًا إلى الصورة فى تمعن ، قبل أن يهرش فى رأسه قائلاً :

ـ أعتقد أنى رأيت هذا الشخص من قبل ..

كاد قلبى يتوقف وأنا أسأله :

ـ تعرفه ؟!

هز رجل الأمن راسه بالإيجاب وأجاب :

ـ لا أعرف اسمه .. لكنه أتى لزيارة الست (حنان غانم) أكثر من مرة ..

توقف قلبى وأنا أسأله بحلق جفقه التلهف :

ـ ألا تعرف عنه أى شىء ؟!

هز رأسه بالنفى وأجاب :

ـ كلا .. سمعت الست (حنان) تناديه مرة بـ (حسام) ، هذا كل ما أعرفه عنه ..

ليكن ، هذا كاف أيها السيد الذى سيلقى حتفه بعد قليل لو كنت حفيدة (نوستر اداموس) حقًا .. أما الآن فيلحملنى المصعد إلى الطابق الرابع حيث أقصد ، ولأقف أمام الباب وسجادة المدخل المزدانة بالتعبير الإنجليزى (Welcome) ضاغطة زر الجرس ، لتفتح (حنان غانم) الباب بنفسها هذه المرة ..

ابتسمت فى وجهها وتذكرتنى هى على الفور لكنها لم تبتسم ..

ـ مساء الخير يا عزيزتى ..

نطقت بها فى أريحية ، وذاب الجليد فى وجه (حنان) المتخشبة فى وقفتها أمامى ، لكن لهجتها لم تحو ترحيبًا من أى نوع وهى تقول :

ـ أهلا بك ..

مددتُ يدى بالحقيبة نحوها أقول :

ـ نسيتِ حقيبتك فى الفندق بعد الغداء ..

تناولت الحقيبة منى ، وقالت دون أن تتحرك ، كأنها تخفى بجسدها شيئًا عنى :

ـ أشكرك ..

ورفعت ناظريها إلىّ متابعة دون امتنان :

ـ .. كنت أتمنى أن أدعوكِ إلى الداخل لكن لدى ضيوف مهمون ..

ـ أستطيع أن أتفهم هذا بالطبع ..

قلتها بابتسامة ، وأنا ألعن فى داخلى اللحظة التى أتيت فيها إلى هنا بقدمى !

أتمنى أن يكون هذا حلمًا هو الآخر فأفيق منه واجدة نفسى فى المطعم لا أزال ..

ارتبكت (حنان) وقد شعرت بمقدار عدم اللياقة التى تعاملنى بها ، لكنها حاولت مغالبة اضطرابها قائلة :

ـ أجهز أيضًا لسفرى إلى (بيروت) بعد ساعة واحدة فقط ؛ لهذا فالمنزل مقلوب فى الداخل راسًا على عقب ..

إلى (بيروت) ؟!

ـ لا عليكِ ..

قلتها وعقلى يعمل بقوة آلاف الفولتات فى الثانية الواحدة ..

ـ أشكركِ مجددًا على أية حال ..

ـ لا شكر على واجب ..

قلتها وهممتُ بالابتعاد عندما تذكرت أننى لم أرد إليها الأمانة كاملة ، فعدت أرنو نحوها قبل أن تغلق باب الشقة وتتخلص منى :

ـ .. انتظرى لحظة ..

توقف الباب ، وبرز رأسها من خلفه فى تساؤل واضح ..

ـ ماذا ؟!

أخرجت الصورة من جيبى وممدت بها يدى نحوها ..

ـ صورة (حسام) .. لقد انزلقت من الحقيبة دون أن يفتحها أحد ..

كذبة بيضاء أخرى ..

ووجوم يكتسح وجه (حنان غانم) الرقيق ..

- (حسام) ؟!

غمغمتُ بها وهى تتناول الصورة منى ، وكاد فكها يسقط ذهولا كما يحدث فى أفلام الكارتون والروايات البوليسية ..

كنت أعرف أن معرفتى باسمه قد باغتتها ، وكان هذا مقصودًا ..

تراجعت إلى المصعد مبتسمة وقد حققت نصف انتصار ، بينما تخشبت هى فى وقفتها ، حتى عادت تغلق الباب فى وجهى ، فى نفس اللحظة التى انغلق فيها مصراعا المصعد على وأنا أبتسم فى بلاهة ..

أى انتصار حققته من حركتى (الصلعاء) هذه ؟!

لن أعرف أبدًا !

حييت رجل الأمن فبادلنى التحية ، وابتعدت إلى الشارع أنقب عن سيارة أجرة خالية وأحاول تنظيم أفكارى ..

ترى ، ما هى الخطوة التالية ؟!

لم أنتبه فى انهماكى فى التفكير إلى السيارة (الألفا الروميو) التى توقفت أمام مدخل البناية ، ومصابيح الانتظار الخاصة بها تضىء وتنطفئ ..

ولم أنتبه إلى الحائط البشرى الغليظ الملامح والعضلات ، الذى هبط منها بسترة ذات مربعات ملونة ، متجهًا إلى المدخل ، ومتجاوزًا رجل الأمن دون إلقاء تحية ..

ثم صاعدًا إلى الطابق الرابع مباشرة ..

* * *

لولو

هل بلغت الفصل السابع حقًا ؟!

هل سوف تسافر (حنان غانم) إلى (بيروت) حقًا ، أم أنها كانت تريد طردى بنوع من اللياقة واللباقة فى آن فقط ؟!

وإن كانت ستسافر ، فمن كان يحمل الرجل الضخم فى اللفافة البيضاء الكبيرة التى كانت تصلح لحمل جثة كاملة ؟!

هل ما رأيته ـ برمته ـ كان حقيقيًا أم محض هلوسة ؟!

لن أعرف أبدًا !

* * *

السيارة ليست ملكًا لشخص ما !

قالها (هشام) ، وقد استغرقت رحلتى من مكتبه إلى (الزمالك) والعودة قرابة الساعة ..

هذا محبط بشكل يحطم كل شىء ، وهكذا فكرت قبل أن أسأله ناظرة إلى الجريدة المطوية فوق سطح مكتبه :

ـ تعنى أن الرقم خاطئ ؟!

لم يكن الرقم طويلا بشكل يسهّل عملية النسيان ، بل بسيط

مكون من ثلاثة أرقام فقط ، وهى فئة خاصة من الأرقام المعدنية تكلف الراغب فى الحصول عليها أموالا طائلة !

ـ بل صحيح ..

هذا مبشر بشكل قد يؤكد كل شىء !

ـ صحيح إلى أى حد ؟!

سألته فى تردد بين الإقدام والإحجام ، وأتانى الجواب مريحًا بشكل أكد كل شىء فعلا :

ـ إلى حد أنها خاصة بترخيص سيارة (ألفا روميو) !

ـ وكيف يمكن ألا تكون ملكًا لأى شخص ؟!

ـ بأن تكون ملكًا لمؤسسة ..

كدت أصفر وأصفق وأطير وأصيح مثل الأمريكان (GATCHA) ، لكنى فضلت أن أستيقن أولاً :

ـ مؤسسة من ؟!

ـ مجموعة (مجدى فاخر) الاقتصادية ..

ـ GATCHA !

نظر (هشام) نحوى وقد صدمه سلوكى كالمعتاد ، قبل أن يغمغم فى أسى :

ـ على الأقل هذا يدل على أنك لا تخرفين ..

قلت ممازحة إياه :

ـ ماذا سأسمع منك عندما أبلغ التسعين إذن ؟!

قال فى تهكم مرير :

ـ بهذه الطريقة التى تدور بها حياتك لن تنتظرى أن تنجب طفلنا الأول حتى ..

غمزته قائلة ، وقد غمر الانتعاش أعطافى فجأة :

ـ تستطيع الاعتماد علىّ فى هذا الأمر !

ونهضت من أمامه على الفور ، ناظرة إلى ساعة الحائط التى أشارت لما بعد السادسة مساء بقليل ..

ـ إلى أين الآن ؟!

أشرت إلى الجريدة المطبوعة فوق سطح مكتبه ، والتى تحمل إعلانًا بارزًا على صفحة كاملة عن مجموعة شركات (مجدى فاخر) ؛ مع صورته تتصدر الصفحة بجوار صورة رئيس الجمهورية ووزير الصناعة ..

إعلان يحمل عنوان المركز الرئيسى مع أرقام الهواتف ..

الأمر مفهوم إلى درجة لاتستدعى إتعاب الأحبال الصوتية على ما أظن ..

★ ★ ★

قلتُ لموظف الاستقبال فى الطابق الأرضى من مبنى مجموعة (مجدى فاخر) الضخم :

ـ أريد مقابلة رئيس مجلس الإدارة للضرورة القصوى ..

خمنتُ أنه موجود من أسطول السيارات الفارهة المتراص أمام بوابة المجموعة ، لابد أن إحداها له إن لم تكن جميعها ..

سألنى موظف الاستقبال فى برود :

ـ هل يوجد موعد سابق ؟!

أجبته فى سخونة :

ـ لا ، لكن أخبره أن الأمر يتعلق بـ (حنان غانم) ..

ـ الفنانة ؟!

ـ لا أعرف إن كانت والدته تحمل نفس الاسم !

- انتظرى لحظة ، ما اسمك ؟!

- (نسرين الجبالى) ، صحفية فضائح ..

أجرى اتصالاته ، ثم دعانى للصعود إلى الطابق الأول برفقة موظف أمن !

انتظرت ساعة ..

ستون دقيقة تقريبًا فى قاعة واسعة زاخرة بالمقاعد الجلدية الوثيرة ، قدموا لى فيها كوبًا من الشاى كان أفخر ما تذوقته فى حياتى ، وكاد الملل يقتلنى حتى جاء الفرج أخيرًا ..

قادنى موظف متأنق عبر ممرات ودهاليز كثيرة ، حتى بلغنا غرفة واسعة عالية الجدران مؤثثة بما لم تره عينى من قبل ..

إنه الثراء فى أنقى صوره ، والرفاهية ..

كان (مجدى فاخر) يجلس خلف مكتب كبير ، يرتدى الملابس التى رأيته بها فى المطعم ، ويحرك أصابع يديه فى سرعة ؛ تدل على عصبيته وقابليته للانفجار السريع لأى سبب ..

نفس الملامح القاسية التى رأيته بها لم تتبدل أنملة ..

وقفت أمامه وظل يتفرس فىّ لدقيقة أو يزيد ..

- أنت صحفية إذن ؟!

نطق بها فى نبرة رفيعة خنفاء غير متناسبة مع هيئته المهيبة المحاطة بهالة من الجلال ، فابتلعت ريقى فى صعوبة وقلت :

- أجل ، فى صحيفة (الأربعاء) الأسبوعية ..

ضيق عينيه الحادتين قبل أن يسألنى :

- أين رأيتك من قبل ؟!

أخبرته بالحقيقة :

- كنا نتناول الغداء فى نفس المطعم اليوم :

تراجع فى مقعده متفهمًا :

- هكذا .. ولعل هذا ما جاء بك إلى هنا ..

بدأت فى تمالك نفسى أخيرًا ، وانتبهت إلى أنه حتى هذه اللحظة لم يدعنى للجلوس ، لكنى لم أُلق بالاً لهذه الصغائر كما اعتدتم منى :

- جئت بحثًا عن الحقيقة ..

- عن الحقيقة أم عن المتاعب ؟!

- سيان ..

- بك شتان !

لن أتركه يهجم ، إن خير وسيلة للهجوم هى الهجوم :

ـ إن هناك توترًا ما فى العلاقة التى تربط بينك وبين الفنانة (حنان غانم) ..

مازال مصرًا على المراوغة :

ـ وهل تعرفين ما طبيعة هذه العلاقة ؟!

وما زلت مصرة على إصابة قلب الهدف :

ـ العلاقة المعلنة هى العمل ..

رفع حاجبيه وقال كأنه مستمتع بلعبة الكر والفر هذه :

ـ أعمالى كثيرة ومتشعبة ..

هتفت كأنى أنهره :

ـ لا تهرب من الموضوع ..

سألنى ممسكًا بزمام المبادرة على الرغم منى :

ـ ماذا تريدين أيتها الطفلة ؟!

هتفت من جديد وقد فقدت صوابى تقريبًا :

ـ حارسك الشخصى سيقتل (حسام) الليلة .. هل هذا صحيح ؟!

هنا وجم الرجل ، واكتسى وجهه بالجليد والحمم البركانية فى آن ...

لقد انفجرت القنبلة على الرغم منى ، لكنه يبدو وقتًا مناسبًا برغم كل شىء ..

ساد صمت كاد يتمزق له جهازى العصبى ، بدده الرجل أخيرًا :

ـ أنت تعرفين الكثير حقًا ..

صحتُ وقد انقطعت خلفى سبل العودة :

ـ أكثر مما تتصور بكثير !

امتدت يده إلى دفتر شيكاته :

ـ وكم تريدين ؟!

ـ إياك أن تحاول رشوتى ..

ـ فيم مجيئك إلىّ إذن ؟!

ـ لأن الـ ...

صحيح ، فيم مجيئى إليه إذن ؟!

اكتشفت لحظتها فقط أننى هنا بدون هدف ، ربما لكى أؤكد شكوكى لنفسى ليس إلا ..

ـ .. لأن العدالة لابد وأن تتم ..

عاد (مجدى فاخر) يتراجع فى مقعده قائلا فى هدوء مريب :

ـ ليس هذا قسمًا للشرطة لو كان الأمر مختلطًا عليك ..

ـ أعلم هذا ..

قلتها ، وتابعت قبل أن أترك غرفته :

ـ .. لكنى لن أتركك تفرون بجريمتكم .. لن أتركك أبدًا ..

وغادرت الحجرة شاعرة بالبطولة دون أن يكون فى يدى فعل شىء حقيقى ، بينما رفع الرجل هاتفه المحمول وطلب رقمًا :

ـ (شلاطة) .. كانت لدى صحفية هاهنا منذ ثوان .. إنها تعلم كل شىء عن (حنان) وعن (حسام) .. لا تسألنى كيف .. المهم كيف يمكن أن تتصرف أنت الآن ؟! إن هذه اللعينة تتجاوز كل الخطوط الحمراء !

كنت أنا أفكر وأنا أهرول بين الممرات :

ربما يجعلهم ما قلته يحجمون عن جريمتهم تجاه هذا الشاب الذى لا أعرفه ..

ربما يحقن هذا دمًا ..

من يدرى ؟!

فى طريقى إلى الخارج مررت بالقاعة التى شربت فيها الشاى ، وهناك رأيته ..

(سامى تيمور) خبير الروحانيات .. هل مازال يذكره أحد هاهنا[*] ؟!

الرأس الحليق تمامًا على النمرة (زيرو) ، وعوينته الصغيرة المستديرة ، وجلده المشدود الذى يلمع كأنه مدهون بالورنيش ، والملابس البسيطة المكونة من (تى ـ شيرت) أسود مرسوم فوقه هرم ذهبى ، وبنطلون له نفس اللون القاتم ..

بسمة هادئة وصوت هادئ طالما طاردنى بهما ليقنعنى بجدوى العمل كوسيطة روحية بعد مغامرتى الرهيبة مع (إخوة الدم) !

(*) ظهر فى جزأى (إخوة الدم) ـ العددين ١٥ و١٦ من سلسلة (سلة الروايات) ..

ـ مساء الخير ..

قالها وهو يصافحنى ..

ـ أهلا أستاذ (سامى) ، من الغريب أن أراك هنا ..

قال فى هدوء كأنه ينومنى مغناطيسيًا :

ـ تستطيعين رؤيتى فى أى مكان ، إن لى زبائن كثيرين !

قلت فى سخرية :

ـ هل يروم (مجدى فاخر) تحضير روح والدته أم ماذا ؟!

تجاهل دعابتى وقال :

ـ الغريب حقًا أن أراك أنتِ هاهنا !

ـ الصحفى يتواجد حيث يتواجد الخبر ..

ـ هذا معناه أن هناك خبرًا هاهنا ، وأن السيد (س) ..

قاطعته :

ـ أنا أعمل بدونه هذه المرة !

أدهشه قولى لكنه لاذ ببعض الصمت ، ووجدتها فرصة قدرية من ذهب ..

ـ .. بالمناسبة يا أستاذ (سامى) ، هل يمكن أن أعيش حدثًا ما مرتين ؟!

قطب وسألنى :

ـ ماذا تعنين ؟!

لم يكن هناك مفر من أن أروى له ما حدث فى اختصار سريع ، ومع كل عبارة كنت أنهيها كانت بسمته تتسع وتتسع ، حتى ظننت أنى أقص عليه أملوحة من التراث !

أنهيت قصتى قائلة :

ـ ربما كان هذا نوعًا من الرؤى الغريبة ، أو لعله نوع مكثف من ظاهرة (شوهد من قبل) أو يمكن أن يكون ..

قاطعتنى نبرته الهادئة وبسمته الأهدأ :

ـ إن لك روح شفافة يا (نسرين) ..

قطبت ناظرة إليه دون أن أتحدث ..

ـ .. أعتقد أنك قد عبرتِ الخط الأحمر دون أن تشعرى !

رددت التعبير الغريب خلفه لا إراديًا :

ـ الخط الأحمر ؟!

هز رأسه بالإيجاب ، وتطوع بالتفسير دون طلب :

ـ .. إنه ذلك الخط الذى يفصل بين الوعى واللاوعى .. بين الواقع والحلم .. بين الحقيقة والخيال .. ندرة من تكون لهم القدرة على عبوره ، ومن يفعل يحظ برؤية ما لا يراه غيره كما حدث معك أنتِ ..

ـ لا أفهم ما تقول ..

ـ ستفهمين .. إن الخط الأحمر غير قابل للشرح ، يجب أن تشاهديه بنفسك ..

كأننى (نيو) وكأنه (مورفيوس) ، ولتحىَ ثقافة (الماتريكس) !

سألته وقد بدأ الخوف يحاصرنى :

ـ تعنى أننى قد أموت اليوم حقًا ؟!

ـ هذا ما لا يعلمه أحد ، حتى أنتِ بعد عبور الخط الأحمر !

ـ برغم أنى لا أفهم الكثير ، إلا أن حديثك يثير قلقى ..

ـ ستفهمين ، وسيزول كل القلق ..

ـ متى ؟!

ـ لا تكونى عجولاً ..

ـ وماذا يمكننى أن أفعل الآن ؟!

ـ اتركى نفسك على سجيتها ، وستفهمين كل شىء ..

ـ والجريمة ؟!

ـ حاولى منعها ..

ـ كيف يمكننى ذلك وأنا أجهل أغلب التفاصيل ..

ـ اعبرى الخط الأحمر من جديد ، وستفهمين كل شىء ..

ـ أعبره ؟! كيف ؟!

ـ اسمحى لى أن أساعدك ..

اقترب منى ، ومد يده اللامعة كأنها مدهونة بالورنيش حديثًا ، لتقبض أصابعه على جبهتى فى إحكام ..

ـ .. الآن أغمضى عينيك ..

امتثلت ..

وكيف لا أفعل ؟!

ـ .. واستعدى لعبور الخط الأحمر ..

السواد .. السواد .. السواد ..

ثم ..

* * *

الثامن بين الفصول ..

أنسحب إلى الخارج فجأة ..

تنهار الدنيا من حولى وتمتزج فى لوحة سيريالية بلا معنى ، وفى أقل من الثانية أفتح عينىّ على اتساعهما وأنا ألهث ..

أين أنا ؟!

* * *

وحيدة فى منتصف صفوف المقاعد ..

دار عرض سينمائى لا تحوى إلا مشاهدًا واحدًا منكمشًا على نفسه فى ذعر ..

أنا !

وعلى الشاشة تدور الدوائر فى بحر الحياة ..

* * *

المطعم ..

(مجدى فاخر) وخلفه الحائط البشرى ، وعلى مقربة منه (حنان غانم) المنكمشة على نفسها فى ذعر هى الأخرى ..

تستطيع أن ترى فى عمق الكادر ذلك الضابط الوسيم الذى يدعو خطيبته المجنونة على الغداء بمناسبة نجاحها فى البكالوريوس ، لكن دعك منهما أيضًا فهما مازالا خارج نطاق القصة التى تدور على الشاشة ..

(مجدى فاخر) يهمس من بين أسنانه المنضغطة فى غيظ :

ـ ما معنى أنك لا تعرفين مكانه ؟!

ترتجف (حنان غانم) وهى تجيبه :

ـ هاتفنى مرة منذ أسبوع ، ومن يومها اختفى تمامًا ..

يلقى (مجدى فاخر) نحوها بالكأس الزجاج :

ـ كاذبة !

يتحطم الكأس على الأرض وتغرق محتوياته بنطال (حنان) الأبيض القصير ..

هكذا بدأ كل شىء إذن !

* * *

شقة (حنان غانم) كما لم أتبين معالمها تحت جنح الظلام ..

(حنان غانم) من منظور الشقة الداخلى تقف عند الباب وتتحدث مع صحفية مجنونة أتتها بحقيبتها التى نسيتها فى المطعم ظهر اليوم ، وتناولها أيضًا صورة (حسام) ..

دعك من هذه الصحفية الآن فهى مازالت خارج نطاق القصة التى تدور على الشاشة ..

تغلق (حنان) باب الشقة وترنو ممسكة بحقيبتها والصورة الفوتوغرافية مقاس الـ ٦ × ٩ إلى الشاب الجالس على أريكة الصالة ؛ ممسكًا فى يده بجهاز التحكم عن بعد الخاص بالتلفاز ، ويده الأخرى مغموسة فى طبق من رقائق (الشيبس) ..

- (الفديو الكليب) الجديد الخاص بك رائع حقًا يا (حنان) ..

اقترب من الشاب وستجد ملامحه مطابقة للصورة التى تمسكها (حنان) وهى تدنو منه فى بطء متردد ..

- (حسام) .. هل تحدثت إلى أحد الصحفيين أو الصحفيات مؤخرًا ؟!

تسأله فى حيرة ، فيلتفت إليها مجيبًا :

- بالطبع لا ، لست مجنونًا إلى هذا الحد يا أختى الكبيرة !

إنها أخته إذن ..

هل هذه هى لحظة التنوير ؟!

- وبعد ؟!

تسأله ، فيعيد إليها كرة تنس الطاولة :

- وبعد فى ماذا ؟!

تجلس إلى جواره وتقول :

- إن (مجدى فاخر) يشك فى أنى أعرف عنك شيئًا ، وكاد يحطم وجهى منذ قليل بكأسه الزجاجية بينما كنا نتناول الغداء .. ماذا لو عرف إذن أننى أخفيك فى شقتى ؟!

قال فى لامبالاة وهو يقلب قنوات التلفزيون واحدة تلو الأخرى :

- سأتصرف أنا معه .. لا تشغلى بالك !

تقول فى تردد :

- أرى أن تعيد إليه بضاعته ، ويا دار لم يدخلك الشر ..

قال الشاب :

- لن ينال منها شيئًا ، لقد هضم الكثير من حقوقى .. وهذه البضاعة التى أخفيها عندك من حقى كاملة ..

قالت وجلة :

ـ أخشى أن يلحق بك الضرر ..

تبسم قائلاً :

ـ لن ينال منى ، اللص الشاطر يختبئ فى عربة الشرطة .. لن يتصوروا أننى هنا أبدًا ..

ـ الحق بى فى (بيروت) إذن ..

ـ سأفعل ، ولكن بعد أن يهدأ الجو هنا قليلاً :

ـ ما زلت قلقة عليك ..

يطبع قبلة على خدها ، ويغمزها قائلاً :

ـ القى على (مجدى فاخر) ورجاله إذن ..

تأخذه بين ذراعيها فى حنان أم ..

وهكذا تتصاعد الأمور إذن !

★ ★ ★

مطار (القاهرة) الدولى ..

(الألفا روميو) تقف وتهبط منها (حنان غانم) ، ثم الحارس الشخصى لـ (مجدى فاخر) الذى يحمل لها حقائبها ..

وتقلع طائرة (بيروت) بينما يبتسم الرجل فى شر ..

هكذا يقرر ارتكاب جريمته إذن ..

★ ★ ★

شقة (حنان غانم) من جديد ..

على مقعد خشبى يقف (حسام) مكمم الفم ، دامع العينين ، وبجواره يقف الحائط البشرى متفحصًا المشنقة المتدلية من السقف ؛ للتأكد من المتانة والتحمل ..

عينا (حسام) تستجديان ، والرجل الضخم لا يلين ..

يقلده المشنقة حول عنقه ..

يدفع بالمقعد أسفل (حسام) ..

يتدلى جسد (حسام) ميتًا ..

ينزع عنه الحائط البشرى الكمامة والقيود ليبدو الحادث انتحارًا ..

يتفحص البضاعة المخبأة فى الشقة داخل اللفافة البيضاء الضخمة ، ويستعد لمغادرة الشقة عندما ..

يرن جرس الباب فى جنون ..

لقد بدأت الصحفية المشاغبة تتدخل فى الأحداث إذن !

* * *

سواد .. سواد .. سواد ..

* * *

أنسحب إلى الداخل فجأة ..

أجد نفسى فى سيارة أبى ، الرابضة أمام مبنى (الزمالك) والوقت ليل ..

أمامى تربض السيارة (ألألفا روميو) بأرقامها الثلاثة ..

كيف أتيت إلى هنا ؟!

ومتى ؟!

وأى عبث أكابد ؟!

أذكر أنى كنت مع (سامى تيمور) ، قبل أن ..

قبل أن ماذا ؟!

لن أعرف أبدًا ..

أعرف فقط أننى هنا لمنع الجريمة ، أو على الأقل لمحاولة الإيقاع بالقاتل ..

هبطت من السيارة وهرولت نحو مدخل البناية الزجاجى ، رجل الأمن مشغول بحل شبكة كلمات متقاطعة فى جريدة اليوم لذا لم ينتبه لدخولى ، وصعدت أنا راسًا إلى الطابق الرابع ، ثم شرعت فى دق الجرس بإلحاح شديد ..

أعرف أن الوغد فى الداخل ..

أعرف أنه إما يعد لارتكاب جريمته ، وإما أنه ارتكبها فعلا ..

رن هاتفى المحمول ولم أقبل المكالمة ، ضغطت زر الدكتافون المجاور للمصعد وهتفت فى رجل الأمن بالأسفل :

ـ أنا أواجه مشكلة هاهنا فى الطابق الرابع ..

التكرار ..

انفتح مصراعا المصعد عن رجل الأمن بملامح يشويها التوتر ..

ـ ماذا يحدث هنا أيتها السيدة ؟!

ـ سمعت استغاثة من الداخل !

استعد بكتفه لكسر الباب ، وفى الارتطام الثالث طاوعه القفل ..

الظلام والسكون التامان ..

اندفعت نحو الغرفة ..

شنق .. إعدام .. موت بشع فى شقة فتاة شابة بحى (الزمالك) ..

شبح ينسل خارجًا من باب الشقة ، ولفافة كبيرة من القماش الأبيض ..

ـ القاتل !

المصعد يهبط ، ونحن نلتهم السلالم .. رجل الأمن يسقط برصاصة فى جبهته ، وأنا أندفع خلفه لتخترق الرصاصة صدرى ..

أسقط على إسفلت الشارع والدماء تغرق كل ما حولى ..

القاتل يبتعد ..

وضوء يقترب من بعيد فى سرعة شديدة ..

فقط لو أعرف سر هذا الظل البادى فى دائرتى الضوء !

* * *

فصل تاسع أو ختام !

جرح عميق احتاج لتدخل جراحى مكثف ، نجوت بعده بأعجوبة ..

قال (هشام) :

ـ سيقتلك جنونك هذا يومًا ..

أما أبى فقد كاد يصاب بالجنون وأنا فى غرفة العمليات ، وبكى كثيرًا عندما أخبروه بنجاتى ربما لأنه لم يكن يتمناها أصلاً !

احتضننى بقوة عندما أفقت ورجانى ألا أكرر أفاعيلى هذه ..

وعدته بأن أفعل وأنا أعرف أننى لن أبر بوعدى !

كتبت تحقيقًا مطولاً عن الحادث ، وأنا مغتبطة بكونه يحمل بصمتى وحدى دون السيد (س) ، لكنه أبى أن يتركنى مغتبطة هكذا !

كتبت عن بضاعة الهيروين التى كان (ح) شقيق المطربة المشهورة (ح . غ) يسوقها لحساب رجل أعمال شهير ، وعندما احتكرها الشاب لنفسه أرسل إليه الرجل الكبير من يقتله .. هز التحقيق أوساط الشرطة والنيابة ، بالذات عندما وصلهم شريط فيديو مصور من مجهول ، يحوى لقاء (حنان) و(مجدى) فى المطعم ، وحوار (حنان) و(حسام) فى

شقتها ، ولقطات مفصلة لعملية شنق (حسام) على يد الحارس الشخصي لـ (مجدى فاخر) الذى سافر إلى خارج البلاد ، بعد استيلائه على قرض من البنك فى وقت متزامن مع الحادث .. أما (حنان غانم) فقد اعتزلت الفن وارتدت الحجاب !

دارت تساؤلات كثيرة حول الشريط ومصوره والكيفية التى تم تصويره بها لكن البحث أدى إلى طريق مسدود ، وقد اطلعت بعدها على شريط الفيديو هذا ـ خطيبى ضابط مباحث لماذا كان نائمًا فى بداية الرواية ـ لأجد أن اللقطات مطابقة لما رأيته على شاشة سينما افكارى بعد عبورى للخط الأحمر ..

إنه السيد (س) ..

لم يرسل بشىء يدل عليه مثل كل مرة ، لكنه الوحيد القادر على فعلها ، من وجهة نظرى على الأقل ..

كأنه شعر برغبتى فى الاستقلال ..

أكثر من هذا أن (سامى تيمور) هاتفنى بعدها ، راجيًا إياى حضور جلسة تحضير أرواح أقوم فيها بدور الوسيط ، رفضت بالطبع وسألته عن الخط الأحمر ..

ـ أى خط أحمر ؟!

نكرته بما أخبرنى به فى مقر مجموعة (مجدى فاخر) ..

ـ من يكون (مجدى فاخر) هذا ؟!

لم يكن هو إذن ..

وإنما ..

(سامى) ..

س ..

السيد (س) !

هكذا كتبت التحقيق مرة أخرى ، وأنا مغتبطة بأن السيد (س) لم يتركنى ، حتى عندما قررت أنا أن أفعل !

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

شخصية غامضة في مغامرات وأجواء عجيبة

الخط الأحمر

د. محمد سليمان عبد المالك

إنه ذلك الخط الذى يفصل بين الوعى واللاوعى ..

بين الواقع والحلم ..

بين الحقيقة والخيال ..

ندرة من تكون لهم القدرة على عبوره ، ومن يفعل يحظ برؤية ما لا يراه غيره ، وهو ما حدث مع (نسرين الجبالى) التى قررت التمرد على السيد (س) فى هذه المغامرة الفريدة .. !

مغامرات س

الثمن فى مصر ٢٥٠ م
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(نقطة الصفر)